تأليف

بيار كورناي

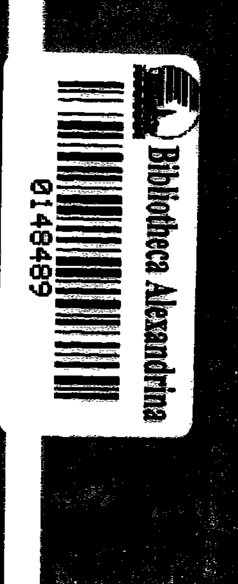
سنّا
أو حلم أغسطس

تعريب

خليل مطران

دار الجيل

بيروت

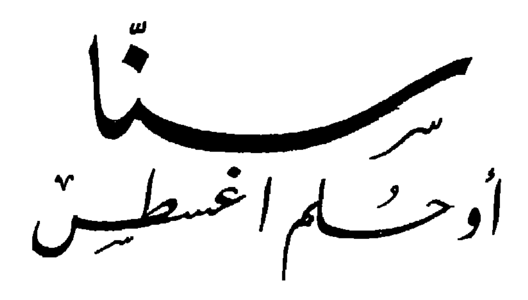




سـنـا
او
حـلم اغسطس



تأليف
بيار كورناي



تعريب
خليل مطران

دار مارون عبود


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



مقدمة

« سنّا » هي إحدى تراجيديات أربع بلغ بها الشاعر الفرنسي بيار كورناي (١٦٠٦ – ١٦٨٤) ذروة نتاجه المسرحي . والثلاث الأخَر هي : السيد ، وهوراس ، وبوليوكت . ويضيف اليها بعض النقاد والباحثين تراجيديا خامسة : « بومبايوس » ، وكوميديا : « الكذاب » .

ومن أبرز ما يسترعي انتباه الدارسين أن نتاج كورناي شبيه بحياته ، يبدأ بفتوّة لاهية ماجنة ، تحب الدعابة والمرح ، فيَتَصِلُ إلى شباب متنبّه ، بعيد الطموح ، يتلمّس طريقه إلى المجد ، حتى إذا بلغ نضج الرجولة ، اهتدى إلى التعبير الأفضل عن نبوغه ، فأعطى زبدة ما في قلبه وعقله ، ثم راح ينحدر ، مع توالي الأعوام ، نحو الأفول ، من غير أن ينقطع عن العطاء ، كأنه أراد أن يكون نتاجه قنطرة توازي تماماً قنطرة حياته .

وهكذا رأيناه يضع مسرحيته الأولى : « ميليت »

ـ كوميديا ـ وهو في الثالثة والعشرين من العمر . وخلال سبعة أعوام وضع سبع مسرحيات ، منها خمس كوميديات : الأرملة ، ورواق القصر ، والتابعة ، والساحة الملكية ، والوهم الهزلي ، وتراجيديا : ميديه ، وتراجيكوميديا : كليتندر .

وفي الثلاثين من العمر أطلق أولى روائعه الخالدة : السيِّد ، واتبعها بهوراس وسنّا ، وبومبايوس ، والكذاب ، ثم راح ينحدر مع : تابع الكذاب ، ورودوغون ، وتيودور ، وهيراكليوس ، واندروميد ، ودون سانش ، ونيكوميد ، وبرتاريت ، واوديب ، والجزة الذهبية ، وسرتوريوس ، وصفونسب ، واوتون ، واجيزيلاس ، واتيلا ، وتيت وبيرينيس وبسيكيه ، وبولشيري ، حتى انتهى إلى سورينا ... وكانت هذه مؤسفة حقاً ، فانقطع عن التأليف المسرحي نهائياً ، وانصرف إلى التأمل ، ففاضت شاعريته ورعاً وتقوى في : الاقتداء بيسوع المسيح ، وأناشيد فرض الكهنة ، ومدائح العذراء .

كورناي الرائد

يعتبر كورناي ، على الرغم من هنات الفتوة والشيخوخة ، رائد المسرح الكلاسيكي الفرنسي ، وفجر العصر الذهبي المعروف باسم الملك « لويس الرابع عشر » . وهذا ما أعلنه ندّه ومنافسه جان راسين يوم استقبله في الأكاديمية الفرنسية ، إذ قال :

« في أية حال كان المسرح الفرنسي حين بدأ

كورناي يعمل ! في أية فوضى ! وأي انحراف عن القواعـــد !

« كان مسرحنا خالياً من الذوق ، خاليـــاً من معرفة الجمالات المسرحية الحقيقية ، فالمؤلفون كانوا أشـد جهـــلاً من المشاهدين . وكانت الموضوعات المطروحة، في أغلبيتها، مبالغات بعيدة عن المنطق والمعقول، لا أخلاق فيها، ولا خصائص مدروسة.. وكان الأداء أوفر فساداً من التمثيل ، وكل ما كانت تتحلى بـــه المسرحيات ، معنى ومبنى : نُكت لاذعة ، وتلاعب بالألفاظ .

وبكلمة مختصرة، كانت قواعد الفن، والشرف، واللياقة كلها مرذولة ومنقوضة ! » .

وهذه شهادة جديرة بالتدوين والحفظ .

عوامل وضع سنّا

أجمع الباحثون على أن عوامل وضع « سنّـا » نوعان : أدبية وتاريخية .

فالعوامل الأدبية هي تلك التي نجمت عن « معركة السيد » فالنجاح المنقطع النظير الذي أحرزته هذه المسرحية أحدث في الأوساط الفكرية ما يشبه الإعصار ، حتى أن الممثل موندوري الذي قام بدور « السيد » – رودريغ – كتب إلى بلزاك : « ليتك تأتي إلى باريس لترى هــذه المسرحية

التي سحرت المدينة . ازدحم الناس في القاعة حتى أصبحت الزوايا المخصصة للخدم أماكن مرموقة للأشراف » .

وكتب الناقد بليسّون :

« يصعب وصف الترحيب الذي استقبلت به هذه المسرحية . فكل من رآها أراد رؤيتها من جديد ، فما تعب أحد منها . وفي الأوساط والأندية كان التحدث عنها كل ما يقال ويُسمع ، وكان الجميع يحفظون شيئاً من أبياتها عن ظهر قلب ، وبوشر تعليمها للأولاد في أماكن عديدة من فرنسا ، وانطلق مثل على الألسنة هو : « هذا جميل كالسيد » .

ولم يكن إعجاب الملك أقل من إعجاب شعبه ، فرفع كورناي وأباه إلى مرتبة الأشراف ، مما أثار حفائظ الكتّاب والشعراء ، أمثال : ميريه ، وسكوديري ، وكلافريه ، فاتهموا المؤلف بخرق « القواعد الكلاسيكية » ولا سيما وحدة الزمان والمكان ، وادعوا أن القصة لا يمكن أن تحدث في أربع وعشرين ساعة ، وأن حوادثها وقعت في أماكن عديدة .

وادعى ميريه أن كورناي « سرق » موضوعه من مسرحية اسبانية . فرد كورناي رداً رصيناً لا يخلو من العنف قال فيه :

« لست مديناً بشهرتي إلا لي وحدي ، ولا أظن

أن هناك منافساً لي لا أشرفه حين أعتبره نداً » .

وتدخلت الأكاديمية فحسمت الخلاف بقولها :

« ان في السيد جمالاً نادراً ما يكون له مثيل ،
وهو من أجمل الشعر المعروف حتى الآن » .

واعتقد بوالو، رئيس المدرسة الكلاسيكية ومشترعها الأول أن « سنـّا » مدينة بوضعها لمعركة «السيد» وصاغ هذه الفكرة في بيت من الشعر هو :

Au Cid Persécuté, Cinna doit sa naissance

— ان سنـّا مدينة بولادتها لما عانت السيد من الاضطهاد .

أما العوامل التاريخية فهي أن حركة عصيان نشبت في منطقة نورمنديا عام ١٦٣٩ ، فقمعها الوزير ريشليو قمعاً دامياً ، ونفى اثنين وعشرين من قادتها . ولما كان كورناي نورمندياً ، فقد اختار موضوع سنـّا الذي يمجد الحلم أملاً أن يستدر عطف الكردينال الوزير على مواطنيه المنفيين ، فتأثر ريشليو ، وأثنى على الشاعر بلا تحفظ ، ولكنه لم يَلِنْ ، ولم يصفح عن المنفيين .

قيمة « سنـّا »

نجحت هذه المسرحية نجاحاً يضارع نجاح سابقتيها : السيد وهوراس ، فمثلت مائة وست وستين مرة ، وأعرب النقاد عن إعجابهم بما فيها من :

— تصوير الأخلاق والطباع تصويراً مدروساً ، دقيقاً، عميق الغور،يبرز المزايا الخلقية،والخفايا النفسانية ابرازاً يزدان بروعة البيان ، وسمو المناقب .

— النقاش السياسي ، وقد حذقه كورناي وأبدع فيه ، وهو الذي نال جائزة في البلاغة والبيان والخطابة ، إذ كان تلميذاً ، وأحرز إجازة الحقوق في الثامنة عشرة من عمره ، فجاء نقاشه السياسي متسماً بما فُطر عليه من الفصاحة ، وقوة الحجة ، وسداد الرأي ، وبعد النظر .

— الانشاء الزاخر بالقوة والاشراق، إن في رواية الحوادث، أو في الحوار ، أو في عتاب الامبراطور ، أو في رد فعل الندامة في نفس سنّا .

وإذا كانت اميلي ، حبيبة ، سنّا قد تميّزت بقوة الارادة ، والعجرفة وصلابة العود على مفهوم مخطىء للشرف ، إلى جانب حب لاهب يقرب من الهيام ، فإن أغسطس — وهو بطل المسرحية — يعطينا مثلاً عن « حاكم » ينشد الكمال . فهو سيّد نفسه ، مسيطر على أعصابه ، يكبت عواطفه في سبيل الحق ، ويقدس الواجب إلى الحد الأقصى ، ويتحلى بالحلم الذي يتجاوز كل تخم . وهذا ما نلمسه في عفوه عن سنّا ، ورغبته في التخلي عن السلطة ، وندمه على قسوته السابقة ، مما جعله أنبل وجه ، ليس في مسرحيات كورناي فحسب ، بل في مختلف مسارح العالم والتاريخ .

أما سنّا ، وهو شخصية ثانوية بالنسبة إلى أغسطس ، فإنه ما نقم على سيده ، والمحسن اليه ، وولي نعمته إلا استرسالاً منه في حب أميلي ، فأقسم لها بقتل الامبراطور انتقاماً لأبيها فأصبح أسير قسمه ، وهذا مفهوم آخر مخطىء لمعنى الشرف .

وأدوار الأشخاص الآخرين ليست سوى تكملة لتوالي حوادث القصة .

مقارنة لا بد منها

بقيت مقارنة بين كورناي ونده راسين يفرضها هذا البحث للإلمام بناحية بالغة الأهمية من المسرح الكلاسيكي الفرنسي .

قيل أن كورناي وراسين رميا إلى تثقيف مشاهدي مسرحياتهما ، وتهذيب أخلاقهم ، فانتهج كل منهما سبيلاً يختلف عن سبيل الآخر ، إذ قدّم لنا كورناي قدوات صالحة ، ومُثُلاً عليا ، كأنه يقول لنا : افعلوا هكذا ، انسجوا على هذا المنوال ، بينما صوّر لنا راسين المثالب والعيوب ، وحذرنا منها ، كأنه يقول : اجتنبوا هذا لئلا تسقطوا .

فكان من الطبيعي أن يأتي مسرح كورناي صلباً ، بطولياً ، شامخ العنفوان ، وأن يكون مسرح راسين عاطفياً تتوالى عليه نوبات من الضعف والألم والأنين ، فإذا براسين أقرب إلى الانسان وإلى الشعور الانساني ، وإذا بكورناي يحلـّق في ذرى يتصورها الخيال ، وتعجز الارادة — مهما سمت — عن بلوغ رفعتها .

نظير عبود

الاشخاص

اكتافيوس قيصر
اغسطس : امبراطور روما
ليفيـــا : الامبراطورة
سِنّــا : ابن كريمة بومبيوس رئيس المؤتمرين باغسطس
مكسـيم : رئيس آخر للمؤتمرين
اميـليـا : كريمة تورانيوس الوصي على اغسطس والمنفيّ خلال مدة حكومة الثلاثة
فـلفيـا : أمينة أسرار اميليا
بوليكليتس: مُعْتق اغسطس
ايفـاندر : مُعْتَـق سنّـا
اوفورب : مُعْتَـق مكسيم

« تحدث وقائع هذه الرواية في روما »

الفصل الاول

المشهد الاول

اميليا : أيتهـــا النزعاتُ [١] التي تجيش في صدري وتَستَنْفِد صبري في سبيل انتقام جليل أثاره في نفسي موت أبي .

أيتها الحفائظ [٢] التي تدفَّق بها حقدي ، واحتضنها على غير هدى ألَمي ، فَطَغَى بها على جُمّاع [٣] نفسي ! مهلاً عليَّ لحظات أسترح قليلاً وأتبيّن من خلال ما يغشاني حقيقة مغامرتي وما أرمي إليه . كلما رأيتُ اغسطس في عنفوان مجده ، وأعدْتُ إلى ذاكرتي ما كان مِنْهُ في أول عهده بالمُلْك مِنْ سفك دم أبي ، كلما مَثّلتِ لي تلك الصورة الدامية التي أثارت أضغاني واجترحتها يد

---

(١) النزعات : الميول ، الرغبات .

(٢) الحفائظ : الأحقاد ، البغض . (٣) جماع : كل .

نقمتــــه ، استسلمتُ لحوافزك الملحَّة ، وطابت نفسي لتقتيل ألفٍ في واحد .

وفي أثناء هذا الغضب العادل أراني أحبُّ سنّا فوق بغضي لأغسطس ، فأحسُّ خموداً في حدَّتي المتأججة حين أذكر أني بتعقبي لعدوي أعرض حبيبي لسوء المغبَّة [1] .

أجـل يا سنّـا ! إنني لأثور على نفسي عند مـا أتدبر المخاطر التي أدفعكَ إليها .

أنت لا تخشى شيئاً في سبيل خـــدمتي ، ولكنني فيما أسالك من هدر دم غيرك أخشى هدرَ دمك ، وهيهات أن تُقطَفَ الرؤوس من تلك الذرى الشماء من غــير أن تُستنزلَ على قاطفها الزعازع والعواصف .

في الفوز ريب ، وأما الخطر فلا ريب فيـه ، وربَّ صديق غــير صدوق وشى بك ، وباح بسرِّك . أو ربَّ تدبيرٍ لم تُحكمه، وفرصة لم تحسن انتهازها، أساءَا منقلبك وصبَّا على رأسك الضربات التي كنت تريد أن تصبَّها على رأس عدوِّك .

---

(١) المغبة : عاقبة الشر .

قد تصرعه فيجرك في مصرعه ، ومهما يوح إليك حبي من عظائم الأمور في سبيل رضاي، لن تأمن حين ترمي بعدوّك من حالق أن يَذهبَ بك في انحداره إلى مهواته .

آه! كُفَّ يا حبيبي عن هذه المغامرة المهلكة. فما انتقامي بانتقام إذا جرَّ إلى الإيذاء بك . إنّ أقسى القلوب لهو الذي يرى السرور في أمانيَّ تفسدها مرارة الدموع .

وان أوجع الأرزاء لهو أن نشتري موت عدوٍّ باستنزاف ما في عيوننا من العبرات .

ولكن أيسفحُ الدمعَ من ينتقم لأبيه ؟

وهل من خسارة فادحة لا تهون في جانب الأخذ بثأره؟

إذا حملنا الحملة الصادقة على قاتله فارديناه ، أيحقُ لنا التفكير فيما يسومُنا موتُه من عذاب ؟

حسبك أيتها المخاوف الباطلة .

حسبك أيتها الرّقة الزريّة أن تشغلي قلبي بما يثبط عزيمتي !

وأنت أيها الحب الذي يبعث فضوله في قلبي هذه المخاوف ، تشمَّر في خدمة واجبي ودع كفاحه ، ففي الخضوع له مجدك وفي الفوز عليه عارك .

كن كريمـاً وتسامح له في الغلبة عليك فكلما أعطيته
أعطـاك وأربى ، وان ينتصر لم يكن نصره إلا تاجـاً على
هامتك .

المشهد الثاني

اميليا ، فلفيا

اميليا : أقسمت، يا فلفيا ، ولا أزال أقسم أنني مهما أحببت سنّـا،
بل مهما أحللته من قلبي محل العبادة، فلا وصال بيني وبينه
إلا بعد هلاك أغسطس .
رأس هذا العاهل هو الثمن الذي يشتريني بـه . ومـا
أسومه إلا الحكم الذي يقضي به عليّ الواجب .

فلفيا : ذلك الحـكم لا يقبل العذل لأن مصدره العدل . فـلا جرم
أنكِ بهذا العزم الجليل تؤيدين جدارتك بالانتساب إلى ذلك
الدم الذي تطالبين بثاره . ولكن تجاوزي لي ، وأعيريني
سمعك مرة أخرى . إن هذه الحدّة ، وإن كان باعثها حقـاً
يجب أن تُلطّـف ... فيلوح لي أن أغسطس ، بما يُسدي به
إليك من الأيادي كل يوم ، كفّـر تكفيراً حسناً عن الآلام

التي ابتلاك بها . وظاهر من آيات عطفه عليك أنه يحلُّك أعلى محل من الكرامة .

أليس أسعد المقربين إليه أولئك الذين يجثون على قدميك ويستشفعون بك لديه ؟

اميليا : كل هذه الحظوة لا ترد عليّ أبي، وكيفما نظروا إليّ نظرهم الى المتقلبة في النعمة المعتزة بالنفوذ ، فإني على الدوام ابنة المطلوب الثار لدمه .

ليس للمكرمات في كل حال من الأثر ما تظنين . فهي لمن يتلقّاها من يد ممقوتة سُبّة وامتهان ، واكرام العدوّ الحاقد يزيد في أسلحة خيانته ومكره .

يغدق عليّ آلاءه في كل يوم ، ولكنه لا يفلُّ حد شجاعتي ! أنا اليوم كما كنت بالأمس . بل أشدُّ مراساً ، وأصلب عوداً ، فما يُفعِم به يدي من الصِّلات، أشتري به نفوس الرومانيين لمناوأته ، ولو أنزلني منه منزلة ليفيا لقبلتها حتى اتخذَ منها وسيلة للفتك به .

لا جناح على من ينتقم لأبيه ، وإنما يبيع دمه من يلين جانبه لإحسان المسيء إليه .

فلفيا : وما حاجتك لأن تُرمي بالكنود[1] والجحود ، وفي وسعك أن تحقدي من غير أن ينفجر حقدك ؟

في الناس غـــيرك من لم ينس كيف أرسى أغسطس عرشه على القسوة والظلم . فكم في الرومان من باسل مقدام، وكم من همام ذائع الصيت ، ذهبوا قرابين لجرائم طمعه ، وتركوا لأولادهم من بعدهم ألماً يدفعهم الى الانتقام . ان آلافاً منهم سيطرقون هذا الطريق . والذي يعيش حانقةً عليه امّته لا يطول عيشه ... فخلّي لتلك الأذرع الذّود عنك وعنها ... ولا تُعيني أغراضها بغير ما تضمرين لها من أماني الفوز .

اميليا : كيف ؟ أأمقتُه ولا أجدُّ في أذاه ؟

أأكل إلى المصادفات ان تتولى إهلاكه ؟

وهل تقنع الواجبات الملحّة بحقد مكنون وأمانٍ عاجزة ؟

أشتهي هلاكه ، ولكن يشقّ عليّ ان يقتل في غـــير والدي . إنك إذن لترينني باكية عليه ، لأن هلاكه بغير يدي يحرمني لذّة الانتقام !

---

(١) الكنود : الكافر بالنعمة .

من الجبن ان يكل الإنسان مصالحه إلى غيره ، فلنجمع إلى حلاوة الثأر لأهلينا مجداً نحرزه في معاقبة الطغاة ، وليُذَعْ يومئذ في أرجاء ايطاليا : « رُدَّت على روما حريتها بيد اميليا . لقد مسّ الغرام روحها ، ودلّه قلبها ، بيد أنها لم تَجُدْ بوصلها حتى جعلت ثمنه نجاة قومها » .

فلفيا : غرامك وما قدَّرتِ له من ثمن تقدمة مشؤومة، تقضي على حبيبك قضاء لا ريب فيه . فتبيَّني، يا اميليا، ما تُعرّضين له هواك . واذكري كم ارتطم أناس بهذه الصخرة ولا تعمهي(١) عن القضاء الذي سينزل به فهو لا محالة واقع .

اميليا : اوَّه ... إنك لتعرفين كيف تصيبين موضع الحسّ مني . أفكر في المكاره التي أدفعه إليها ، فاموت خوفاً عليه من الموت ، ويختلط عليّ عقلي ، فاعارض نفسي بنفسي : أريد ولا أريد. أهم ولا أقدم، ثم يذعنُ شعوري بالواجب، وهو حائر بائر ، منقاد لنزوات قلبي في عصيانه وتمرّده .
هوادة يا صبابتي ! رفّهي عني قليلاً ، قد تشهدين من

(١) لا تعمهي : لا تسيري على غير هدى ، عمه : سار على غير هدى .

تصاريف الاتفاق كل حدث عظيم . على أنني لا أبالي وليس سنّا بهالك حتماً من جراء استهدافه للهلاك . ليَحتَم أغسطس بالجحافل والفيالق، وليحتط لنفسه ما يشاء، وليامر و ينْهَ بما يشاء ، ان من يحقر حياته يملك حياة أغسطس . كلما عظم الخطر حَلَت ثمرته .

الفضيلة تدفعنا إليه وما عقباه سوى المجد . وسواء أهلك أغسطس أم هلك سنّا فلا مندوحة لي عن هذه التقدمة قرباناً لوالدي ... بهذا وعدني سنّا عندما عاهدته على الهوى . والضربة التي سيضربها هي وحدها التي تجعله جديراً بي، وقصارى الأمر : لقد سبق السيف العذل ، فلا رجعى عما استقر عليه العزم . اليوم الاجتماع . واليوم الائتمار . واليوم يكون اختيار والساعة والمكان والذراع . فإذا مات سنّا فإنني لمائتة بعده .

المشهد الثالث

سنّا ، اميليا ، فلفيا

اميليا : هـــذا هو قـادم ... سنّـا ألم يروّع اجتماعكم مروّع من الخطر ؟

وهل رأيت على وجوه أصدقائك دلائـــل الاستعداد لانجاز ما وعدوك به ؟

سنّـا : لم يتأت قط في ائتمار بطاغية ان يؤمل النجاح كما نأمله . ولم تتبين الحميّـة في قسم كما تبينت في القسم بقتله ، ولم يُرَ في متحالفين أحسن مما رؤي في أصحابي من اتفاق .

لقد أبدوا جميعاً من النشاط للأمر والسرور به مـــا ألقى في روعي ان كلاً منهم يخدم عشيقة له كما أخدم عشيقتي ، وأظهروا كافةً من شدة السخط مـا أوهمني ان كلهـم يثأر لأب له كما تثأرين لأبيك .

اميليا : كنت أتوقع ان سنّـا في مثل هذه المهام يعرف كيف يختار الشجعان ولا يلقي بمصلحة اميليا ومصلحة الرومان في أيدي الأغرار والهمل [1] .

---

(١) الهمل : الرعاع من الناس .

سنّا : وددت لو أنك رأيت بنفسك الغيرة التي يُقدِم بها هؤلاء النفر على ذلك العمل العظيم . كان اسم قيصر أو اغسطس أو الامبراطور، كافيا وحده ان يلهب أعينهم بنار الغضب. فما تنقضي لحظة حتى يعلو جباههم نتناقضان : اصفرار الاستفظاع ، واحمرار الحقد . قلت خاطباً فيهم : « أيها الأحباب ، دنا اليوم السعيد الذي سيختم بالحسنى أغراضنا الكريمة .

لقد وضعت الآلهة في أيدينا حظّ روما ، وناطت سلامتها بهلاك رجل، ان جاز ان يسمى برجل من خلا من الانسانية ، فكان نمراً لا يُروى إلا باستنزاف جميع الدم الروماني ! ففي سبيل سفكه كم دَبَّر من مكيدة وكم تحول من حزب إلى آخـر ، ومن عصبة إلى عصبة ، فهو تارةً صديق لانطونيوس ، وطوراً عدوٌّ له لا حدّ لوقاحته ولا لقسوته » .

وبعد قولي هذا مضيت في سرد طويل للرزايا [1] التي عاناها آباؤنا ونحن في الصغر ، فجددتُ بهذه الذكريات

---

(١) الرزية : المصيبة العظيمة .

الأحقاد ، واذكيتُ الأضغان، وأجّجتُ في قلوبهم الشوق إلى الاقتصاص منه .

وأمعنتُ فعرضت أمامهم صوراً لتلك الوقائع المبكية التي كانت فيها روما تمزق احشاءها بيديها، فكانت العُقاب تقاتل العقاب في كل مكان، و كتائبنا تتسلح لتقضي بسلاحها على حريتها ، وخيرة الأجناد وأشجع الرؤساء لا يرون المجد كل المجد إلا في النزول إلى مصافّ العبيد . ويضيفون إلى دنس قيودهم عار التطلع إلى سَلْك العالم وراءهم في سلسلة من الاسار [1] . وزاد في الطامّة ان التهيام بالشرف المرذول في تسويد طاغية على الخافقين ، حبّب إلى جميعهم إثم الخيانة والغدر ، فكان الرومان على الرومان، والأقارب على الأقارب ، يتطاحنون لا لشيء سوى اختيار الباغي إثر الباغي .

وأضفت إلى هذه الصور أروع وصف لوفاقهم الأثيم ، البعيد عن الرحمة ، الذي جاء نحساً على أهل الخير ، وعلى الأغنياء ، وعلى أشياخ الندوة ، والذي جمعت فيه الجرائم

---

(١) الاسار : القد وهو ما يعرف بالسير .

باسم حكومة الثلاثة .

على انه أعجزني اتخاذ أشد الألوان سواداً لوصف تاريخهم الحفيل بالفواجع، فاجترأت بأن صورتهم لهم تمثلين نصراً، نازفين من التقتيل في الميادين العامة . وكشفت لهم عن روما غريقة في دماء أبنائها وقد سفكت مهج أناس منهم وجدّل[1] غيرهم في محاريب آلهتهم حماةِ دورهم . أغري الشرير منهم بالأجر فتمادى في إجرامه، وذبحت الزوج زوجها في سرير منامه ، واحتمل الولد رأس أبيه في يده وهو يتصبب دماً ، وانبرى يطلب كراءه . كل ذلك ذكرته على انه رسم ناقص للفظائع الرهيبة التي يقوم عليها أمنهم وسلامهم المريب ...

أأعدّ لك من أسماء اولئك الأعاظم الذين وصفت مناياهم لشحذ العزائم أم أعدّ اولئك المغضوب عليهم الذين كانوا أنصاف آلهة فنحروا حتى في صدور الهياكل ؟

ولكن من لي بأن أبين بالحق ... كيف أثارت هذه الصور ، على نقصها وقلة اتقانها ، عقول جميع المؤتمرين

---

(١) جدل : ارتمى .

فكانوا ينتفضون حنقاً واحتداماً ورغبة في الفتك . فـــلم أضيـع الفرصة السانحة . ولاح لي ان غضبهم استل منهم كل خوف وحرضهـــم على كل مغامرة . فمضيت في الخطاب وقلت لهم في كلام وجيز : « كانت المظالم والمغارم ، وكان فقدان أموالنا وحريتنا، وتخريب حقولنا ومدائننا، وكان النفي والحروب الأهليـة ، كل تلك كانت الدرج المخضّب بالدماء الذي صعد عليه اغسطس للاستواء في العرش ورمينا بالقوانين الجائرة . ولكن في وسعنا ان نغيّر هـذه الحال المنكودة ما دام هو الباقي وحده من الطغاة الثلاثة . وقـد حرم نفسه النصير بقضائه على ضريبَيْهِ[1] الخبيثين ليحكم وحده،فإذا ما هلك فلا مولى علينا ولا منتقم له منا. وبعثت روما ببعث حريتها . وحقّ لنا ان نُسمّى بالرومانيين يوم نحطّم بايدينا النير الذي يرهقها...

النهزة سانحة لننتهزها غداً ...

سيذهب إلى الكابيتول لتقريب القربان ، فليكن هو الضحية. ولنقم هناك ميزان العدل للناس بشهد من الآلهة...

---

(١) ضريبيه : مثيليه .

لن يحيط به غير جنودنا . ومن يدي سيتناول البخور والجام [1] . فاريـــد ان تكون الإشارة الخنجر أغمده في صدره بهذه اليد عوضاً عن البخور ... وستريكم الضربـة القاتلة أني سليل بومبيوس العظيم. ثم أروني بعد ذلك أنتم كيف تحفظون الذكرى لأجدادكم الأمجاد .

فلما انتهيت من خطابي حتى جدّ كل واحـــد منهم ، بالقسم النبيل ، نَذْرَ الأمانة والوفاء ..

راقهم اختيار الفرصة ، ولكن تطلّع كل منهـم إلى شرف الضربة الأولى التي آثرت بهـا نفسي ، ثم دال العقل من سَوْرة الحميّـة فجرى الاتفـاق على ان يستوثق مكسيم ونصف الجند من حِرَاسة الباب ، وان يتبعني النصف الآخر متأهباً لأول إشارة تبدر مني .

هذا ما انتهينا إليه يا اميليا الحسناء ، وغداً سأكون موضع حقد الناس أو عطفهم . فإمّـا ان أنعت بالقاتـــل الأثيم أو بالمنقذ ، وإما ان ألقب باسم قيصر والأمير او باسم المختلس. فإذا أحرزنا الفوز على الطاغية نلنا الفخار ، وإذا

---

(١) الجام : المكيال .

فشلنا بؤنا بالشنار [1] .

الشعب لا ضابط له بإزاء الطغاة ، إذا كرههم موتى عبدهم أحياء . إمّا أنا فسواءٌ عليَّ ألانَ لي جانب الآلهة أم جفا ، وسواء عليَّ أدفعني إلى المجد أم أسلمتني إلى القصاص ، وسواء عليَّ أكانت روما لي أم كانت عليَّ . ففي بذل حياتي لمرضاتك سأستسهل كل صعب وأحمد كل مغبة.

اميليا : لا تخشَ عاقبةً تلوّث ذكراك . فالحسَنُ والسيّيء سيّان في سبيل مجدك ، والتواءُ الحظ في مثل مرامك قد يُهدِفُ للخطر حياتك ولكنه لا يَضير [2] شرفك .

انظر إلى ما حلَّ ببروتس وبكاسيوس ! هل طُمِسَ بَهاءُ اسميهما المتلألئين ؟ وهل مات ذكرهما ، وهل أصابت المنايا من أمانيهما العظيمة ما أصابته من شخصيهما ؟ امــا يعدّان إلى اليوم آخــر الأبطال من الرومانيين ، لم تفتأ ذكراهما كريمة على روما بقدر ما أصبحت ذكرى قيصر من أبغض الذكريات إليهــا ؟ ولئن كان من فاز عليهما تسنّم

---

(١) الشنار : العار .

(٢) يضير : ينال منه أذى أو ضرر .

غارب الحكم ، لقد أسِيَ الناس عليهما ، ولقد ظلُّوا يرجون ان يخلفهما أبطال من طرازهما .

تَرسَّم خطاهما ، وأطع داعيَ الشرف ، ولكن لا تدع الحيطة لحياتك . اذكر الحبّ الصادق الذي أشعل قلبينا ، ولا تنس انك تحرز جزائين : المجد ، واميليا ، وان قلبك لي ، وانني مشوقة إلى إيابك ، وان حياتك أعزّ رغائبي ، وان أجلي مرتبط بأجلك .

ولكن أي طارىء جاء بايفندر إلينا الساعة ؟

المشهد الرابع

سنا ، اميليا ، ايفاندر ، فلفيا

ايفاندر : أيها المولى ! قيصر يدعو بك وبمكسيم معاً .

سنّا : وبمكسيم معي ؟ ... أعلى يقين أنت مما تقول يا ايفاندر ؟

ايفاندر : بوليكليتس لا يزال في انتظارك ، وكان يزمع المجيء بنفسه للبحث عنك معي لو لم احتل خيلة لمنعه . وقد نبأتك نبأه مخافة طارىء مفاجىء ... انه يتعجل جدّ عجلةٍ .

اميليا : أيطلب رئيسي المؤامرة ؟ كليكما في آن واحد ! .. لقد كشف أمركما .

سنّا : رحماكِ .. ظُنّي خيراً .

اميليا : آه يا سنّا فقدتك !

ابى الآلهة إلا ان يولّوا علينا مستبدّاً . فقدّروا ان يكون بين أصدقائك بعض الخونة ... لا شك عندي في ان اغسطس علم بالمكيدة. كيف؟ أيطلب الاثنين معاً ويطلبهما عقب الاجتماع ؟

سنّا : لا يسعني مكاتمتك ان الأمر أدهشني . ولكن اغسطس كثيراً ما يدعوني إليه ، ومكسيم مثلي من خلصائه وثقاته. وقد يكون تشاؤمنا هذا عن غير حكمة .

اميليا : أقْلِلْ من اللباقة في مخادعة نفسك يا سنّا ولا تَمضِ بعصائبي إلى أقصى حدودها . ارغبُ إليك، وقد أصبحتَ لا تستطيع ان تنتقم لي ، ان تربأ بنفسك وتنجو برأسك من هذا الخطر القاتل ... اتّق اغسطس في حدّته ، واجتنب شِواظَّ[1] غضبه ! حسبي ما سفحت من الدمع

---

(1) شواظ الغضب : التهاب الغضب .

على موت أبي ، فلا تزدُ برَحائي[1] برزء جديد، ولا تُبلغ بي الحال إلى بكاء حبيبي .

سنّا : ما هذا ؟ ألِرَهْبةٍ موهومة .. أخون مصلحتك وأخون قضية أمتي ؟ أأتهـم نفسي بالجبن واحجـم حيث ينبغي الإقدام ؟ ماذا يفعل اصدقاؤنا إذا نالت منك خيبة الأمل ؟

اميليا : بل إلى ما تصير انت إذا كان السرُّ قد أفشي ؟

سنّا : إذا كانت هناك نفوس سافلة خانتني ، ففضيلتي لن تخونني وسترينها متألقة على شفا[2] الهاوية ، متوجـة بالفخار ، ساخرة من القصاص ، تُدَعُ اغسطس غيوراً من الدم الذي هدره ، هيَّاباً وجِلاً مني ، وقد ضحى[3] ظلِّي . ستزداد الشبهة فيَّ بقدر ابطائي . الوداع .

وطّني النفس على شجاعتها وابائها ، ولئن قدر لي ان أتلقى ضربـة القدر لاموتن سعيداً وتاعساً : سعيداً بأن أضعت حياتي في خدمتك ، وتاعساً لأني مت ولم اضطلع بتلك الخدمة .

---

(١) برحائي : احزاني الشديدة .
(٢) شفا : حافة . (٣) ضحى : قتل .

اميليا : نعم .. اذهب ولا تستمع لصوتي الذي يستبقيك . أخـذ الاضطراب يذهب عني والعقل يثوب إليَّ ... أغفر لغرامي هذا الضعف المهين ...

سنّـا أعرف ان الفرار متعذر لو أردت الفرار ، ولا ريب في ان اغسطس قد أخذ عليك سبيله ان كان قد أدرك سرّ المؤامرة . فالقه إذن . ألقه في مكانـه بتلك الجرأة الباسلة الخليقة بحبنا ، الشفافة عن كرامة أصلك . مت إذا حُقّ الموت وطنيّـاً رومانياً وتوّج غرضك النبيل بميتة نبيلة ، ولا تخشَ بعدك شيئاً يمسك بي في الحياة فرداك[1] يحمل روحي إلى روحك ومـا يصيب قلبك من طعنات يصيب قلبي ...

سنّا : آه ... دعيني إذا ما متّ أحيا فيك ، وأذني إذا قضيت ان أرجو منك الانتقام لحبك ولأبيك معاً . لا خشية عليك ، فما أحد من أصدقائي يعلم بغرضك ولا بما وعدتني بـه ، لقد تحدثت إليهم في مصائب الرومانيين كافة وكتمت عنهم المأساة التي انبتت أحقادنا حَذَرَ ان تمسّ حميّتي مصلحتك

---

(١) رداك : موتك .

فينكشف مكنون حبنا وهو أصدق من ان يذاع له سرّ ،
فإن كان هناك مطّلع على خفي أمره فإنه لا يتعدى ايفاندر
ووصيفتك فلفيا .

اميليا : سأذهب إذن إلى ليفيا وأنا أقل رعباً وقلقاً ، فقد بقي لي ،
والخطر حائق بك ، ان أتذرع لخلاصك بنفوذها ونفوذي
ولكن إذا لم تجدِ مودتي في نجاتك فلا ترجُ مني بقاء بعدك.
لقد جعلت قسمتي منوطة بقسمتك. فإما بقاؤك وإما
اللحاق بك .

سنّا : كوني ، رحمة بي ، أقل قسوةً على نفسك !

اميليا : اذهب ولا تفكر في شيء سوى أني أهواك .

الفصل الثاني

المشهد الاول

اغسطس ، سنّا ، مكسيم ، فريق من البطانة

اغسطس : ليخرج كل ، ولا يدخل أحد . وابق أنت يا سنّا . وأنت يا مكسيم .

(يخرج الجميع ما عدا سنّا ومكسيم) .

اغسطس : هذا السلطان المطلق على البر والبحر ، وهذه الولاية العليا التي لي على العالم ، وهذه العظمة التي لا حدّ لها ، وهذا المكان الأسمى الذي سامني قدماً ما سامني من العناء وسفك الدماء ، بل كل ما يخطف بصر المتملّق الملول من رواء سعادتي العظمى ليس إلا من تلك المباهج التي تبهر ببهارجها ، ثم لا تلبث ان تُمجّ بعد احتيازها والتمتع بها .

لقد يُعاف المطمع حين يُدرك . وتعقب الرغبةَ فيه الرغبةُ عنه ، ولما كانت النفس ، ما دام بها رمق ، لا تنتهي من أمنية إلا إلى أمنية ، فهي ترجع إلى نفسها وقد ضاق في وجهها الفضاء ، فتتطلع بعد السمو وبلوغ القمة إلى الانحدار والنزول .

تمنيت الامبراطورية . فأوتيتُها . ولكنني لم أكن أعرفها وقت التمني ، فما وجدت في احتيازها من المسرّات إلا الهمّ المُقِضّ ، والقلق المستمر ، وما ألفيت غير جماهير الأعداء في الخفاء ، وغير الموت في كل خطوة ، فلا لذة إلا يتخالجها ازعاج ، ولا راحة أبدَ الآبدين .

سبقني سلاًّ إلى هذا السلطان الأسنى ، وتمتع به أبي قيصر العظيم ، فنظر إليه كل منهما بعين مختلفة : تخلى عنه أحدهما ، واحتفظ به الآخر . فمات أولهما وكان جافياً همجياً ، ميتة مطمئنة ، مات محبوباً كما يموت الوطني الخيّر في وسط بلده . وقتل الثاني ، وكان حليماً كريم الطبع ، مراقاً دمه في مجلس الندوة . فهذان مثلان حديثان ما كان أخلقني بأن اتخذهما عبرة لي ، لو كانت العبرة وحدها تكفي ليبدل الإنسان من خطة سيره تبعاً لها .

أحد هذين المثلين يغريني بأن أحذو حذو صاحبه ، والثاني يخيفني . غـــير ان المثل كثيراً ما يكون مرآة خادعة ، وليس أمر القدر الذي يبلبل منا الأفكار بمكتوب حتماً في شؤون الماضي . فقد يعثر المرء حينما أقبلت عثرة غيره ، ويهلك واحد بما كان فيه حياة الآخر .

هذا أيها الصديقان الصفيان ما أهمني وشغل بالي . ان مكانكما مني مكان أغريبـا ومسّينا . فلحلّ المسالة التي باحثتها فيها من قبل ، خذا على نفسي السلطان الذي كان لهما . ولا تحفـلا بهـــذه العظمة السامية التي يستنكرهـا الرومانيون، ويثقل وقرها عليّ . عاملاني معاملة الصديق لا معاملة المليك ، فروما واغسطس واندولة بين أيديكما . ولكما ان تضعا اوروبا وآسيا وافريقية تحت نظام ملكي أو جمهوري . سيكون رأيكما السنّة التي استنها . فعلى مـــا تقضيان بـــه أكون إما امبراطوراً وإما فرداً من أفراد المواطنين .

سنّا : إني على ما يذهلني من هذه المباغتة ، وعلى قلة كفايتي في هذه الشؤون ، أطيع أمر مولاي بلا ملق ، واطرح جانباً تلك التجلة التي تحول دون مكافحتي لرأي يظهر أنك تنزع

إليه ، فاقول قولاً صادراً عن نفس تغار على مجدك انك ستدنس صفحتك بلطخة شديدة الحلك [1] إذا تركت فؤادك عرضة لأمثال هذه الوساوس ، ومضيت فيها إلى استنكار جميع أعمالك .

لا ينبغي للمرء ان يصدف عن عظمة شرعية ، وله ان يستبقي من غير ندم ، ما أحرزه بغير جرم . وكلما كانت القُنية التي يرام النزول عنها نبيلة عظيمة ، كان التخلي عنها مثاراً للشبهات في طريقة احرازها . فلا تصم ، يا مولاي ، فضائلك النادرة التي رفعتك إلى الأريكة بمثل هذه المبادرة الشائنة .

نلت الملك بحق ، ولم تغير في سبيله نظام الدولة بالقسر والعدوان . صارت روما إلى حكمك بالحرب ، والحرب هي التي أدانت العالم لروما . جيوشك افتتحتها ، وليس كل الفاتحين بطغاة وإن كانوا غاصبين. فمن اخضع منهم الولايات لسلطانه وحكم بالعدل ، كان عليها الأمير العدل . ذلك ما فعله قيصر . فإما وأنت اليوم بين تقبيح ذكراه أو احتذاء

---

(١) الحلك : السواد .

مثاله ، فإن أنت أنحيت على السلطان الأعلى باللائمة فقد حكمت ببغي قيصر ، وبرّرت مقتله فبقي عليك ارتقاب الآلهة ، في الدم الذي سفكته للانتقام له والحلول محله .

لا تخشَ يا مولاي عثرات جده، فأيامك أولى بكلاءة[1] ربك .

لقد ائتمروا بك عشر مرات ، فباؤوا بالفشل، وطالما كادوا لك كيداً فلم يزيدوك إلا مَنَعة، يضمر أناس لك الشّر حيناً بعد حين ، ولكن لا ينفذه أحد . أمامك قتلة ولكن ليس فيهم مثل بروتس[2] .

وقصارى القول انه إذا لم يكن محيص عن توقع تلك العقبى السيئة ، فأجمل بك ان تقضي وأنت سيد الدنيا .

هذا ما جسرت على قوله في موجز من اللفظ ، وعندي ان القليل الذي اوردته هو رأي مكسيم .

مكسيم : نعم! اسلم بأن اغسطس على حق في الاحتفاظ بالامبراطورية التي إنما رفعته إليها فضيلته ففتحها واحتازها احتيازاً شرعياً بدمه والمجازفة برأسه . أما كونه لا يستطيع إلا

---

(١) كلاءة : عناية . (٢) قاتل قيصر .

بتسويد صفحته ان يتخلى عن العبء الذي ناء بـه عاتقه أو يتّهمَ قيصر بالطغيان ويستصوب قتله فهذا ما استنكره .

روما لك يا مولاي والامبراطورية مقتناك وكلُّ حر التصرف فيما ملك ، له الخيار ان يستبقي وان يذر ، افتحرم ، وأنت الامبراطور ، ما يستطيعه عامة الناس ؟ أوَتصبح ، وأنت الضابط لكل شيء ، عبداً للعلياء التي سموت إليها ؟ ...

إمْلِكِ العظمة يا مولاي دون ان تملكك ، وسدها ولا تدع لها سيادة عليك وأرِ الدنيا من أعلى ذُراها ان جماع ما تشمل عليه دون قدرك .

انبتتك روماك فيما مضى وها أنت ذا تريد ان تهب لها كل قدرتك. غير ان سنّا يغلو ويرى الذنب الأكبر فيما تجود به على البلد الذي ولدت فيه فيسمّي حب الوطن دماً. اتُلحق إذن الفضيلة العليا وَصْمةً بالمجد ؟ فما أجدرها باحتقارنا إذا كان ثمنها العار ...

أشتهي المصارحة في هذا المقام بأن عملاً منك هذا جماله وجلاله يعود على روما باكثر مما نلت منهـا، ولكن أمِن الجريمة التي لا تغتفر ان يكون الشكران فوق الأحسان؟..

اتبع يا مولاي ، اتبع ما توحي به إليك الآلهـــة .
فمجدك يتضاعف بقدر ما تطيّب نفسك عن الامبراطورية ،
وذكرك عند الخلف يزكو بالتنحّي عنها أكثر مما يزكو
ببلوغها . ان التوفيق قد يؤدي إلى ذروة العلياء ولكن
الزهد في تلك المكانة السامية يتطلب فضيلة هي كل
الفضيلة . وقليل في الكرام من يربح الصولجان ثم يَعِفُّ
عن حلاوة الحكم ...

تدبر من جهة أخرى انك تحكم ، في روما . ومهما
أطلقت عليك فيها بطانتك من الأسماء فالملكية ممقوتة ،
ولقب الامبراطور الذي يستتر وراءه لقب الملك لا يقل
عنه مقتاً .

كل سيّد عند القوم طاغية ، وكل خادم رقيق له وكل
محب له خائن ، وكل من يطيقه رعديد [1] فنخوب القلب
مهيض الجانب ، وكل وسيلة للخلاص من الطاغية فضيلة .
ولقد نهضت لك الأدلة الناصعة على صدق هذا يا مولاي
إذ ائتمروا بك عشر مرات بلا جدوى . ولعله غير بعيد

(١) رعديد : جبان .

ان تنفجر الحادية عشرة، وان يكون هذا الطائف [1] الذي ألمّ بك فأزعجك انذاراً خفيّاً أرسلته اليك الآلهة . ومـا من وسيلة لها بعده في حفظ حياتك ...

لا تعرّض نفسك بعد اليوم لهـذه المحن الرائعة وإذا كان من المستحيل موت المرء وهو سيّـد العالم فأجمل الميتات لا تعصم من الوصمات ذكرى من يستطيـع العيش والتزيّـد من المجد .

سنـا : إذا كان حب الوطن ينبغي ان يقـدم هنا على كل مـا عداه فنفع الوطن هو الأولى بأن نتوخـــاه . وتلك الحرية التي يجلونها إجـلالاً ، ليست في عرف روما إلا زعماً في غـير مزعم ، ضررهـا أكبر من نفعها . ولا تعود على البـلاد من الخير والبركة بمثل مـــا يعود به عليها أمير صالح يوزّع المناصب بالنظام والعقل ويعاقب أو يثيب [2] عن بصيرة وعدل ، يتصرف بالحكمة في كل شيء تصرف المالك الشرعي ولا يتعجل في الأمور اتقاء خلف يعاجَـلُ به .

اما إذا ساد الشعب فلا عمل من غير تخبط . ولا نصفة

---

(١) الطائف : ما يُرى في المنام . (٢) يثيب : يكافىء.

هناك يرجع إليها فتباع الرتب بيعاً لأشره القوم إليها .
وتجعل أزمة السلطة في يـــد أشدهم فتنة . ويضل صغار
الحكام الذين إنما يولوّن لعام واحد إذ يرون سلطتهم موقوتة
بوقت صغير ، فيضيعون ثمرات الأغراض الجليلة تفادياً
من تركها لمن يأتي بعدهم . وإذ كان نصيبهم من الدنيا التي
يصيبونها قليــــلاً ، فإنهم يمدّون الأيدي إلى حقول الناس
يحصدون منها ما طاب لهم ، آمنين غضبة غاضب ، واثقين
بقرب المغفرة ، لأن كلاً يامل ان يعامل يوماً بمثل هـــذه
المعاملة . فشر الحكومات حكومة الشعب .

اغسطس : ولكنها وحدها هي التي تروق القوم في روما . فقد ارتضع
أبناؤها بغض الملوك عن لبان أمهاتهـــم منذ خمسمائة سنة
ويصعب انتزاع هذا البغض من قلوبهم بعد تأصله .

مكسيم : نعم يا مولاي . ان روما ماضية في علتها ، وشعبها يالف
هذه العلة ويأبى البرء ــ مِلاكه بيد العادة لا بيد العقل .
وهذا الضلال القديم الذي يريد سنّا محوه هو ضلال محمود
المغبة فتن به القوم ويدينُ به سنّا نفسه . هو الذي أخضع
لروما العالم بأسره ، ومشّاها مئة مرة على هام الملوك ، هو
الذي أفعم خزائنها بالمجلوب من نهب الولايات فما عسى ان

يسديه خير الأمراء إلى هذا الشعب وراء ما ذكرت ؟

وأجرؤ ان أقول ، يا مولاي ، ان الحكومة لا تصيب حظاً واحداً في جميع الأصقاع . فلكل شعب حكومة على وَفْق طبيعته لا يغيرها مغيّر إلا وهو في حكم الذي ألحق بها سبّة ومعرّة [1] . جرت سنّة الله في العالم بالاختلاف والتباين لحكمة وعدل . فمكدونيا تحت الملكية، وسائر اليونان يحبون الحرية العامة، والفَرتيّون والفرس يرغبون في الحكام المُطاعون . وما يصلح للرومان إلا حكومة القنصلية .

سنّا : حقاً ان الله بحكمته الشاملة قد اختص كل شعب بمزية مختلفة. ولكن من الحق أيضاً ان هذه السنّة تتغير بتغير الزمان والمكان .

أخذت روما من الملوك مَنعَتها وكيانها، ومن القناصل مجدها وسلطانها، وهي تتلقى الآن من مناقبك التي تفردت بها نهاية الرخاء وغاية الازدهار . ففي عهدك لم تبق الدولة

---

(١) معرة : عار ، عيب .

نهباً للجيوش وقد اقفلتَ بيديك أبواب يانوس [١] ولم يقع هذا قبلك إلا مرتين : مرة في عهد القناصل ومرة في عهد الثاني من ملوك روما [٢] .

مكسيم : وان ما تحـــدثه الآلهة من تغيير في أحوال الدول لا يريق دماً ولا يعقب سوءاً .

سنـّا : من أحكام الآلهة التي لا تبديل لها أننا نؤدي ثمناً غالياً لما يُولونا من الخـــيرات . فنفي التركينيين خضّب أرضنا بالدم ، وقيام قناصلنا الأولين سامنا الحروب .

مكسيم : إذن فجدّك بومبيوس قد ناهض إرادة الآلهة عندما جاهد في سبيل حريتنا !

سنـّا : لو ان الآلهة لم ترد ان تفقد روما حريتها لذادت عن هـذه الحرية بيدي بومبيوس . ولكنها شاءت موته ليكون أثراً جليلاً مؤبّداً لذلك التغيير الخطير إذ كانت مدينةً لروح ذلك العبقري بهـذا المجد وهو ان تذهب بعد وفاته بحريـة رومـــا .

(١) جرت العادة عند الرومان أن تظل « أبواب يانوس » مفتوحة أثناء الحرب . فهو يصف عهد اغسطس بعهد السلم والهدوء .

(٢) نومابومبليوس .

مضى على هـــذه المدينة ردَحَ من الدهر واسم الحرية لم يبق منه إلا بريقه في عينيها . وان عظمة رومـا نفسَـها لتحرمها التمتع بالحرية . فروما منـــذ رأت نفسها سيدة الخافقين، وغصت خزائنها بالأموال المجبية إليها، وأخرجت من أحشائهـا المتمخضة بوقعات الحروب أفراداً أقوى من الملوك فَعالاً ومجداً، أصبح كبراؤها يطلبون العلياء بشراء الأصوات في الانتخابات ، ويباهون برشوتهم لساداتهـم ، فيمشي هؤلاء في الأصفاد الذهبية متلقين الأوامر ممن يظنون انهـم يصدرونهـا إليهم . وكلا الفريقين في تحاسد . تجري الأمور بينهما بالسعايات التي تحولهـا المطامـع إلى عصابات فتاكة . فلهذه العلل غار سلاّ من ماريوس ، وغار قيصر من جَدّي ، وغـار ماركوس انطونيوس منـك . أفتنفع الحرية والحال كما ذكرت إلا في اذكاء لظى الحروب الأهلية عندما تقع الفوضى المقوّضة لأركان العالم : فلا يريد هـذا سيداً ولا يريد ذاك نظيراً ؟

مولاي ، لا بد ، لإنقاذ روما ، من اتحادهـــا في قبضة رئيس صالح يطيعه الجميع ، فإذا أردتَ تعزيزها فانتزع منها ذرائع الانقسام .

لم يتنحَّ سِلاً عن المكانـة التي غصبها إلا ليفتح المجال أمام قيصر وبومبيوس .

ولو أنه أقر سلطانه في اسرته لما أرتنا عوادي الأيام من المصائب ما أرتنا. ثم ماذا فعل الذي قتل أباه قيصر العظيم، سوى انه أثار عليك انطوان باتفاقه مع لبيد، وهما لم يكونا ليدمرا رومـــا بسواعـد الرومان لو ان قيصر ترك الامبراطورية بين يديك ..

إذا تركتَ هذه الامبراطورية عادت الرزايا التي لم تكد تتنفس منهـا الصعداء ، وشبت فيهـا ، يا مولاي ، حرب جديدة تؤدي بما بقي فيها من ذماء .

ليهزك حب البـــلاد ، ولتأخذك عليها الشفقة . ان روما جاثية تتضرع إليك بفمي، تَدَبَّرْ ما سُمْتَها من غالي الثمن لتسنُّم منصبك . وما أعني انها تستكثره عليك ، فقد عُوِّضَت أكبر عوض عن الكوارث التي عانتها . ولكنهـا تخشى بحق ان تؤدي بك الغيرة على سعادتها مع النصب [1] من قيادتهـــا ، إلى ان تردَّ عليها وديعـــة لا تستطيع

(١) النصب : التعب ، الارهاق .

هي حفظها . فإذا كان لا بد لها من شراء سيد آخر ، وتحتم
ان تؤثر مصلحتك على مصلحتها . وان تدخـل اليأس على
نفسها بهذه المحن المتعبة ، فإنني لا أجسد على المصارحة هنا
بمـا أجسر ان أتصوره من مستقبلها . فاحتفظ بنفسك ،
يا مولاي ، واترك لها سيدها الذي بدأ طالعُ سعدهـــا في
الظهور على عهده . وزد لهـــا في تحقيق الخير الشامل .
فاختر لك وارثاً جديراً بأن يخلفك .

اغسطس : لقـــد جنحتُ إلى نصحك فحسبنا حواراً . ولئن تكن
راحتي غايةَ ما أتمنى ، لراحـــةُ روما أحبُّ إليَّ . ومهما
قُدِّر ان ينزل بي من الخطوب الجسام فـــإني مطمئن إلى
بذل النفس لإنقاذ روما .

لا مطمع لقلبي بعـد اليوم في سكون البال وسانتصح
بنصحك يا سنَّـا فأبقى على الامبراطورية. ولكنني احتفظ
بها وأشركك في الأمر .

أرى جلياً ان قلبيكما أخلصا لي الولاء وان كليكما فيما
أدلى به من رأي لم يرعَ إلا شأن الدولة وشاني . وحبكما لنا
هو الذي أثار مـــا سمعتُ من حوار . وساجزل لكل
منكما العطاء .

مكسيم ! جعلتك عاملي على صقليـة فاذهب وصرّف أحكامي في هـذا الصقع الخصيب ، واعلم أنك تتولاه من أجلي وانني أتحمل تبعة ما تفعل .

وانت يا سنّـا ، أعطيك إميليا زوجاً ، ولست تجهل انها عندي في منزلة جوليــــا [1] . فإذا كان نحس الطالع والضرورة القاهرة قد أحوجاني إلى القسوة في معاملةأبيها، فالآلاء التي أغدقتها عليها بعد ذلك لا بد أن تكون قد لطفت مرارة مصابها. فاذهب اليها من قبلي وجدّ في كسب رضاها فانت لها كفء وسيسرّها مـا تعرضه عليها من أمنيتك . إنصَـرِفا بخير وساخبر ليفيا بالأمر .

(١) جوليا : بنت أغسطس ، نفاها والدها من روما لسوء سلوكها . وقد فرض كورناي أنه تبنى إميليا .

المشهد الثاني

سنّا ، مكسيم

مكسيم : ما مَرامك بعد هذه الخطب الرنانة ؟

سنّا : هو الذى كان وسيكون أبداً .

مكسيم : رئيس مؤامرة يتملّق الباغي .

سنّا : رئيس مؤامرة لا يريد أن يرى الطاغية بلا عقاب .

مكسيم : أريد أن أرى روما حرّة .

سنّا : وستتبين أنني أريد معك تحريرها والانتقام لها . أيرى أوكتافيوس إذن أن غليله قد ارتوى ، وأنه مضى في النهب فلم يعفُ عن الهياكل ، وأنه أزهق أرواحنا قرباناً له، وأنه ملأ الأرجاء تفظيعاً ، وأفعم روما بأشلاء القتلى ، ثم يحاول بعد ذلك التخلص من الجريمة بإظهاره شيئاً من الندم !. أإذا ما استمعت لنا الآلهة وهَمّت بالاقتصاص منه على يدنا يضمن له رأسَه الجبنُ الذى دعاه إلى الإنابة ؟ لشد ما يكون في أمثال هذا الترك من مُغريات تحفز غيره إلى اقتفاء أثره في أمنٍ من العقاب .

لننتقم لأبناء بلدنا ، ولنجعل موته عبرة لمن تحدثه نفسه بالتاج بعده ، ولنَصُنِ الشعب من التعرض لبغي البغاة بعد اليوم،فلو أنه عاقب سلاً لفَلّ من عزيمة قيصر.

مكسيم : ولكن مقتل قيصر الذي رأيتَه عدلا قد اتخذه أغسطس حجة لمظالمه . انخدع بروتوس يوم أراد تحريرنا . ولو لم يقتصّ من قيصر ما تمادى أغسطس في جرأته .

سنّا : إن غلطة كاسيوس ومخاوفه المفرطة هي التي عادت بالدولة الى معاناة البغي وأحكام الاستبداد ، ولكننا لن نرى أمثال هذه الحوادث عندما تنقاد روما لزعماء من أهل البصيرة وصحة النظر .

مكسيم : ما نزال بعيدين عن أن تتبيّن هل يكون تصرفنا أحكم من تصرف أولئك الزعماء . على أنه ليس في شيء من سداد الرأيأن نابى السعادة في أمن ونطلبها تحت خطر الموت.

سنّا : وأقلُّ مما ذكرته سدادَ رأي توهّمُنا أننا نشفي العلة من غير ان نستأصل جرثومتها . فاستعمال اللطف في هذه المداواة إنما هو ترك الجرح يلتئم بعد إفراغ السمّ فيه .

مكسيم : تريد الشفاء دامياً وتجعله أمراً مريباً .

سنـّا : وآنت تريده هيّنا وتجعله مَعَرّة[1] ؟

مكسيم : ليس في الافتكاك من الاصفاد ما يحمر له المرء خجلاً .

سنـّا : ويكون الافتكاك جبناً إذا لم يكن بعمل توحيه البسالة .

مكسيم : ما برحت الحرية على كل حال محبوبة . وهي لروما خير لا يقوّم ...

سنـّا : ربما لايكون الخير ذا قيمة عند روما إذا صدر عن يدٍ تعبت من ارهاقها الحرية أشرف قلباً من ان تفرح بأنها فضيلة يَهبها الباغي الطاغي بعد أن سامها الخسف[2] والامتهان، وكل من أدرك معنى المجد وأخلص النصرة له شديد المقت للمستبدّ فلا يُقبِل على هداياه وصِلاته .

مكسيم : إذن إميليا عندك شيء بغيض .

سنـّا : أخذُها من يد اغسطس عار علي . اما إذا انتقمت لروما وما عانت من آلام فإني اقتحم في طلبها حتى السعير[3] .

---

(١) معرة : عار ، عيب .

(٢) الخسف : الذل .

(٣) السعير : لهيب النار ، والشديد منه .

اجل ! وانني متى أصبحت بعد مقتله جديراً بها ، وضعت يدي الدامية في يدها ، وتزوجت منها على رفاته . ولتكن هدايا الطاغية يومئذ ثمن هلاكه .

مكسيم : ولكن ، أيها الصديق ، مـا الذي يدلك على الفوز برضاها يوم تجيئها مخضباً بدم من هو عندها بمنزلة أبيها ؟ لا أظنك من الرجال الذين يعمدون الى الإكراه .

سنّا : في هذا القصر ، يا صديقي ، قد يسترقون السمع ، ولعلنا شططنا باسترسالنا في الحوار . والمكان لا يؤمن على سرّنا فلنخرج لأتدبر معك أيسر الوسائل لبلوغ ماربنا .

الفصل الثالث

المشهد الأول

مكسيم ، اوفورب .

مكسيم : لقد باح لي بكل شيء . كلاهما محب وحبيب.هو يهيم باميليا وهي هائمة به . ولكن لا مطمع له فيها إذا لم ينتقم لأبيها ، فهو في سبيل الفوز بها ورّطنا في الائتمار .

أوفورب : إذن ، فلا يدهشني هذا الجهد الذي يبذله في إكراه اغسطس على الاحتفـــاظ بالسلطان . ولو نزل قيصر عن أريكته لانحلت العصبة وانقلب المتآمرون أصدقاء له .

مكسيم : انهم لا يبقون ولا يذرون في خدمتهم شهوة رجل يعمل لنفسه وهو يورّي[1] بالعمل لروما،وكان من مصابي المنقطع

---

(١) يورّي : يتظاهر .

النظير ان أنخدع فاتوهم انني أخدم روما ومـا أخدم إلاّ منافسي في هوى اميليا .

أوفورب : أأنت منافسه في هواها ؟

مكسيم : نعم . احب التي يحبها . وطالما بالغت في كتمان شغفي بها ، رجاء ان أوفق إلى عمل مجيد اكسبها به قبل انابوح بغرامي المكنون ، ولكنني ما لبثت ان رأيته ينتزعها مني بيدي . ففي قضاء وطره بواري[1] وانا معينه على هـذا الوطر . ادنـي له الفوز وفيه حتفي ، واعيره ساعدي لينحرني به . فما اشد تلك الصداقة نقمةً عليّ .

أوفورب : المخرج ميسور : اعمل لنفسك وتحاش الضربة القـاضية بترك ممالأته على ماربه ، وباتهام منافسك لتربح عشيقتك . بذلك تنقذ حياة اغسطس ، فلا يأبى عليك الزواج من اميليـــا .

مكسيم : ماذا ؟ أأخون صديقي ؟

أوفورب : الحب يبيح كل شيء.والعاشق الصادق لا يعرف له اصدقاء،

---

(١) بواري : خسارتي ، تلفي .

بل من العدل ان يخان الخائن الذي يغدر بسيده في سبيل هواه . انسَ الصداقة كما نسي هو الحسنات .

مكسيم : الاقتداء بالمجرمين يجب اجتنابه .

أوفورب : كل عمل جائز في درء ذلك الغرض السيِّىء . وليس مجرماً من يعاقب مجرماً .

مكسيم : جريمة تحصل بها روما على حريتها !

أوفورب : خَفْ كل شيء من نفس مُلئت جبناً كتلك النفس ـ ليست مصلحة البلاد هي التي تحتثُّها ـ لا ـ ولا المجد هو الذي يذكي شجاعتها . ان هي إلا مصلحة سنَّا وما كان اثبته في الولاء لقيصر لو انه لم يمسسه العشق . وبعد ، فهو كفور بالنعمة ، ليس من الكرم في شيء ...

اتخالك اطلعت على ما في قرارة نفسه ؟

إنه اخفى عليك ، وراء ستار القضية العامة ، غرامه المتأجج.ففي وسعه ان يخفي ايضاً وراء هذه الصبابة نيران مطامعه الخبيثة.ولربما حدَّثته نفسه، بعد موت اكتافيوس لا بتحرير روما ، بل باستعبادها ! ولا يبعد ان يكون قد احتسبك منذ الساعة احد التبع او انه على هلاكك يبني صروح آماله .

مكسيم : ولكن كيف اتهمه من غير ان اذكر الآخرين ؟ ان المصيبة تحل يومئذ بالجميع فنغدر اقبح الغدر باولئك الذين انضموا الينا ولا امنيةلهم إلا الخير للوطن. هيهات ان اجد عوناًمن نفسي على مثل هذه الفعلة الدنيئة فيموت الأبرياء بجريرةِ واحد ، انني اجسر على اتيان كل امر للايقاع به ولكنني اخاف عليهم كل أمر .

أوفورب : لقـــد تعب اغسطس من كثرة البطش ، وسئم الفتك والتعذيب ! فهو في مثل هذا الشأن اذا اقتص من الزعماء يعفو عن الشركاء ، ثم اذا كنتَ لا تزال تخشى غضبه على الآخرين ، فتكلم باسمهم جميعاً ساعة ابلاغه الخبر .

مكسيم : أرانا في حوار لا يجدي ، فمن الجنون ان ارى في نَـكال[1] سنّـا ما يدني اليّ اميلياء وليس مقتل من تحبه وتؤثره على غيره هو الذي يروق في عينيها الجميلتين.وانا قليل الاعتقاد ان اغسطس يعطينها . فالذي اريده انما هو استمالة قلبها لا احتياز شخصها . ولا سبيل الى هـذا بغير التحبب اليها .

---

(١) نكل به : أصابه بنازلة ، صنع به صنيعاً يحذر غيره ويجعله عبرة له .

وهل اتحبب اليها بإساءات ثلاث اؤذيها بها: خيانتي لحبيبها،
وتقضي ما ابرمت لانتقامها ، وحقني الدم الذي تشتهي
ان يراق ؟
أي أمل يبقى لي بعد هذا في ان تصبو [1] إليّ ؟

أوفورب : في الحق اني أرى الأمر جدّ عسير ، ولكن المخادعة فيه قد
تفيدك . فانظر في حيلة تجوز عليها ، او دع التدبير للزمن
وهو خير مدبر .

مكسيم : ولكن لو عمد سنّا إلى تخفيف جرمه فذكر إميليا شريكته
ولو حدث ان اغسطس عاقبها كما يعاقبه ، فهل في وسعي
ان أطلب اليه ، جزاء على بلاغي ان يمنحني تلك الفتاة التي
دفعتنا الى الائتمار بحياته .

أوفورب : لك ان تقيم في وجهي من شتات الصعاب مـــا لا يذلل إلا
بمعجزات . ولكني على ذلك آملُ بفضل الإمعان في
التفكير ...

مكسيم : اليك عني الآن ، وسالحق بك عما قليل... سنّا قادم وأريد
ان أستوفي منه شيئاً يعينني فيما بعد على عمل أنويه .

---

(١) تصبو إلي : تحن إلي .

المشهد الثاني

سنا ، مكسيم

مكسيم : أراك مفكراً .

سنّا : لا لغير سبب .

مكسيم : هل لي ان أعرف ما يشغلك ؟

سنّا : اميليا وقيصر كلاهما يرهقني . هذا بإفراطه في الاحسان إليّ ، وتلك بإفراطها في غلظة الكبد. ألا ليت الآلهة قدرت لقيصر ان يستزيد حبها له او ينقص من حبه لي ، وليت آلاءه [1] تقع من المليحة التي سبتني موقعها مني فتزيل حنقها كما أزالت حنقي . أشعر في قرارة قلبي بالندم اللذاع حين أتمثل كل حسناته تجاه عيني .
ذلك العطف التام الذي أجزيه عنه بالجحود يكاد في كل لحظة يقتلني أسفاً. وإني لأتخيّـل على الدوام صورته وهو يضع في أيدينا سلطانه المطلق ، ويستمع لمشورتنا ويطرئها

(١) الآلاء مفردها الإلي : النعمة ، الحسنة .

ويقول : « سأستبقي الأمبراطورية أخذاً برأيك، يا سنّـا ،
ولكني لا أستبقيها إلا ولك حصّـة فيها » أفي صدر هـذا
الرجل استطيع إغماد الخنجر ؟

آه ! لا ! ولو .. ولكنني، وآسفاه ، اعبد اميليا، وقد
اقسمت أيماناً مغلّظة على مقته، فكراهتها له تبغّـضه اليّ ،
وأراني من الناحيتين أسيء إلى مجدي والى الآلهـة . فأنا
مرتكب ما ينكره ديني،أو قاتل ولي نعمتي. اني في الحالين
لغادر .

مكسيم : لم يتبين فيك قبل الآن هذا التردد . وكنتَ ثابتاً على مـا
انتويتَ ولم يكن في ضميرك من وخزٍ ولا في نفسك
من ندم .

سنّـا : لا يحسّ المرء ذلك إلا عند اقتراب الساعة ولا تتّـضح له
أمثال هذه الجرائم إلا إذا انبسطت يده للعمل . تكون
النفس مأخوذة بغرضها فتتعلق على غير هدى بأول فكرة.
ولكن اذا حقّـت الحاقة فأي عقل لا يضطرب،بل اي عقل
لا يرزح . وأظن بروتوس نفسه ، مهما قيل في تمداحه ،
قد أراد العدول غير مرّة عما تصدّى له ، وأنه قبل أن

يضرب ضربتهُ قد ساوره من ألم الضمير ما ساور وخامره
من الندم ما خامر .

مكسيم : كانت اريحتيه اعظم من ان يتردد ، ولم تهم يده بالكنود[1]
وكان متحمساً في الايقاع بالطاغية على قدر ما اصاب من
خيره وجنى من ثمرات وده . ولما كنتَ تحذو حذوه
فافعل فعله . واترك وخز الضمير لما هو اجلّ واعظم .
أليس الأجدر بك ان تلوم نفسك على تلك النصائح المشوبة
بالجبن التي نصحت بها اغسطس اليوم ، فحالت دون تجدد
سعادتنا ببلوغنا الحرية ؟ انت وحدك انتزعتها منا اليوم .
ولو امتدت بها قبلاً يد قيصر لتقبلها بروتوس ولم يأبَهْ
لسبب خفيف من انتقام او حب يردّ به البلادَ الى الحرمان
فلا تستمع لصوت طاغ يحبك ويريد ان يَشرِكك في
سلطانه الأعلى ، ولكن استمع لروما تصيح بك :

« اعِدْ إليّ، اعِدْ اليّ ، يا سنّا، ما فوّتني اياه بنصحك
لأغسطس ! واذا كنت منذ هنيهة قد آثرتَ عليّ عشيقتك
فلا تؤثِرْ عليّ الباغي الذي يظلمني » .

(١) الكنود : الكافر بالنعمة ، البخيل .

سنّا : ايها الصديق لا تتمادَ في انحائك باللاّئمة على نفس شقيّة ، تتناول بالجبن غرضاً كريماً . اعرفُ ذنبي الى ابناء وطني. وعما قليل ساردّ عليهم ما سلبتهم ، ولكني افتقر للمودّة القديمة ، وهي على شفا [1] الزوال ، الاّ تموت من غير ان تحرّك شفقتي .

واتركني ، رحماك ، انتظر اميليا مسترسلاً ما شئت في كآبتي ، ان كدري يشق عليك، ولكن الاضطراب الذي اخذ مني ماخذه يتطلب الخلوة ، فهي التي تسكّن ما يجيش بالصدر من امثال هذه الأكدار .

مكسيم : اراك تريـــد ان تتحدث الى فاتنتك بكرم اوكتافيوس وبعجزك . وان الحديث بين العشاق لا يكون الا سِرّاً ، فالوداع وساذهب واكون أميناً كتوماً .

---

(١) شفا : حافة .

المشهد الثالث

سنا وحده

سنـا : سَمِّ باكرم مما سميت ذلك السلطان المجيد ، سلطانَ النزعة الشريفة التي توحيها إليّ الفضيلة ، والتي يحول بها الشرف دون الضربـة العاجلة يحفزني اليها جحودي وجبني ، بل امضِ في تسميتها بالضعف لأنها نزعة تدفعه إلى نهـــاية الوهن[1] أمام العشيقة فتُبقي على حب كان ينبغي أن تُخمِدَ جَذوته[2] ، ولا تجسُر ، إن هي كافحته ، أن تتغلب عليه .

ليت شعري بأي رأي آخذ ، وإلى أية ناحية أوجه عزيمتي ؟ ما أشقّ الذلة على النفس الأبيـّة !

كيفما كانت الثمرة التي أرجو جنيها من بهجة الحب ، او لذة الانتقام ، اوِ مجد تحرير بلادي ، فليست بكافية في إغرائي واستهوائي ، والسبيل اليها هي الخيانة . فإذا كان

---

(١) الوهن : الضعف في الأمر أو البدن .

(٢) الجذوة : الجمرة الملتهبة .

لا بد ، دون تلك الثمرة ، من طعن خاصرة أمير كريم ، يُعلي مقداري على رخص مقداري ، ويوليني نهاية الفخر ، ويسدي إليّ سوابغ[1] النعم، ولا يرجع في حكمه وسلطانه إلى غير نصحي ، فياللأساءة ! يا لخيانةٍ لا يقترفها رجل ! لتدم أبداً عبودية روما وليهلك هواي ، وليمت أملي ، ذلك خير من ان تقترف يدي هذه الجريمة النكراء !

كيف لا !! ألم يَعْرِض عليّ كل ما اشتهيت مما حركتني الصبابة إلى شرائه بدمه ؟ أفاقتله لأتمتع بعطيّته ؟ أفاسلُبه ما يريد ان يهبني ؟ ولكنني مقيد بك أيها القسم الجريء ! يا لحقد إميليا ! يا لذكرى أبيها ! لقد رهنتُ لكما ضميري وقلبي وذراعي . فلست بمستطيع فكاكاً إلا إذا حلّلتني من اليمين. عليكِ ، يا إميليا ، ان تدبري ما ينبغي ان أفعله، عليك ان تمنحي العفو لأغسطس .

إرادتك هي المسيطرة على مصيره . وهي التي تجعل في يدي حياته ومماته ! أيتها الآلهة ! خلقتِها معبودةً مثلك ، فاجعليها مستجيبةً لتوسلاتي كما تستجيبين ،

---

(١) أسبغ الله عليه النعمة : أتمها .

وأعينيني على إمالتها الى رغبتي ما دمتُ لا أستطيع الخلاص
من سلطانها .
أراها مقبلة ، هذه المحبوبة التي لا ترحم .

المشهد الرابع

اميليا ، سنا ، فلفيا .

اميليا : حمداً للآلهة ، يا سنّـا ، كان خوفي لغير ما موجب إذ لم يخنك
أحد من أصدقائك، ولم يكن في الأمر ما يدعو الى وساطتي
في شانك . لقد قصّ اكتافيوس الخبر على ليفيا في حضرتي
فردَّ به عليّ روحي .

سنّـا : أتستنكرين ما جرى ؟ وهل ترين ان تؤخّـري عني التمتع
بالعطية التي جاد بها علي ؟

اميليا : الأمر في يدك .

سنّـا : بل في يدكِ أنتِ .

اميليا : أنا على عهدي ، وقلبي هو قلبي ، وليس الجود بي على سنّـا
بجود ، بل هو تقدمة ماله اليه .

سنـّا : في طاقتكِ مع ذلك ... يا للآلهة ... أأجسُرُ على القول ؟

اميليا : ما الذي في طاقتي ؟ وماذا تخشى ؟

سنـّا : إنني أرتجف وأتنفس الصُّعداء . وأرى انـه لو كانت لقلبينا رغبة واحدة لم تكن بي حاجة الى ذكر السبب في زفراتي ، أجدُني عن يقين مخطئاً رضاك ، ، فلا أجسر على القول ، ولا أصبر على السكوت .

اميليا : لقد أثَرْتَ بي الشجون ، فتكلم !

سنـّا : طاعتك واجبة . سأتكلم . واذن سأنطق بما لا يُحظيني عندك ، وسأبوء [1] منك بالمقت . انني أحبك ، يا اميليا . ولتصعقني السماء اذا لم يكن في هذا الحب كل ما أصبو اليه من مسرّات العيش ، واذا لم يكن هواي من التأجج بحيث يبلغ نهاية ما يرجوه محبوب كريم من قلب عظيم . ولكن تبيّـني بأيّ ثمن تهبين لي فؤادك. . .فإنك من حيث تريدين لي السعادة تُلبسيني ثوب العار. . . ان احسان اغسطس. . .

اميليا : كفى ، كفى ! . . . فهمت مرادك . تبينت ندمك وأمانيك

---

(١) سأبوء : سأقع .

المضطربة ، وأرى ان آلاء الطاغية قد أنستك وعودك ، فخمدت نيرانك ، وَوَهَنَتْ أقسامك لدى ملاطفـــاته ، واجترأ عقلك في سذاجته ان يتصوّر اغسطس،وهو القادر على كل شيء ، قادراً ايضاً على إعطائك إياي. فانت تطلبني من يده لا من نفسي، ولكن لا يَدُرْ في خلدك انني أكون بذلك ملك يمينك .

قد يستطيع أغسطس ان يزلزل الأرض تحت قدميه وان يخلع ملكاً عن عرشه، واهباً بلاده لغيره، وان يخضب وجه البر والبحر بدماء المغضوب عليهم ، وان يغيّر نظام الدنيا على ما يشتهي، أما قلب اميليا فما له عليه من سلطان!

سنّا : لهذا لا أطلب هـذا القلب إلا اليك ، ولا أريده إلا منك . إنني عند ظنك بوفائي، وضميري طاهر كما تعلمين، والشفقة التي أشعر بها لا تجعلني ناكثاً بالعهد ، حانثاً باليمين . فلقد أخلَصْتُ الطاعة لك في كل ما تجنحين اليه وعقدت العزم على قضاء ماربك بما يجاوز الأيْمَان التي أقسمتها . ولقد كان في مقدرتي ، كما تدرين ، من غير حنث ولا إجرام ان أفوّت عليك تلك الضحيّة العظيمة: إذ لو أن قيْصَرَ تخلّى عن

السلطان لأفسدَ علينا كل حجة نحتج بها لقتله،ولانتقضت المؤامرة ، ولأخفقتْ مطالبكِ وطــاش سهم حقدكِ .
ولكني وحدي أذهبت عن نفسه الرّوع ، وأقنعته بالبقاء على الملك وتوجته بيدي لأقدمه لك قرباناً .

اميليا : لتقدمه لي قرباناً ، أيها الخائن،وتريد ان أكون أنا التي أرُدّ يدك عنه ، وأن يعيش إذن ، وان أحِبَّه ، وان أكون الغنيمة لمن أبقى عليه ، والثمن للنصح الذي أمْسَك به في الحكم .

سنّا : لا تسرفي في اتهامي بعد ما قدمت من خدمتك ، فلولاي ما بقي لك من سلطان على حياته.ومع إحسانه إليّ قد وكّلت مصيره الى ما يقضي به الحب . فإما أجهَزْتُ عليه وإما مَنَنْتِ عليه بالبقاء،وما دمت قد وَفَيت بنذوري الأولى في طاعتك، فاعرفي لي هذا الصنيع بعض شيء ، واسمحي لي ان أزيل عنك سخطاً غير جدير بك ، واعطفك عليه مثل عطفه عليك .

إن النفس الكريمة التي تهتدي بهدى الفضيلة تَفرّ من عار الكنود والخيانة ، وتمقت الغدر ، ولو أنال السعادة ، ولا ترضى بخير الدنيا إذا كان جزاؤه بذل الشرف .

اميليا : ولكنني أرى في هذا العار مجداً لي. ما أنبل الغدر إذا رُمي به الطاغي ! ومتى أريد انقاذ قوم من عثرات الجد التاعس كان أشد القلوب كنوداً أعظمها كرماً .

سنّا : تُحدِثين من الفضائل ما يشاء لك الحقد !

اميليا : أخلق من الفضائل ما هو خليق بالمرأة الرومانية .

سنّا : إن القلب الروماني الأصيل ...

اميليا : هو الذي يجترىء على كل شيء في اختطاف حياة مرذولة تستعبده . وانه ليفرّ من عار العبودية فراره من الموت أو أكثر .

سنّا : العبودية مع أوكتافيوس عبودية مشرّفة . ولطالما رأينا ملوكاً جاثينَ لدينا يلتمسون مثل عبوديتنا للاعتزاز بها والاستظهار ـ فاوكتافيوس قد خفض لنا كبرياء تيجانهم، وأدان لسيادتنا عزة سلطانهم ، وأخذ منهم الإتاوات[1] التي تُغنينا ، وخلع عليهم النير الذي خلعه عنا .

اميليا : إن الطمع المزري الذي خامر نفسك قد خدعها إذ أوهمها أنك لم تصبح شيئاً مذكوراً إلا بعد أن أنزلتَ منزلة أكبر

الاتاوات : الخراج ، الرشوة .

من منزلة هؤلاء الملوك .

تعلَّم ان ليس في طرفَي الأرض من يستطيع ان يزعم أنه عِدْلٌ للوطني الروماني .

لقد جرَّ انطونيوس على نفسه أحقادنا وأضغاننا حين تدنس بحب ملكة . وذاك أتالُ الملك العظيم الذي شاب في الارجوان ، كان لقبه معتق الشعب الروماني . فلما دانت آسيا باسرها لحكمه المطلق ، كان أقل اعتزازاً بعرشه منه بلقب الروماني .

اذكر ، يا سنّـا ، مَحْتدك [1] وصُنْ شرفه ، وخذ عن الروماني الكرم ، واعلم أن الآلهة لم تخلق غيره ليسود ويعيش غير مسود .

سنّـا : طالما أرتنا الآلهة في أمثال هذه المؤامرات أنها تسخط على القتلة ، وتعاقب كل كنود ، وأنها إذا رفعت عرشاً لم تبالِ كيد الكائدين له وانتقمت ممن تسقطه ، وأنها أبداً في جانب الذين آتتهم الملك . فالضربة التي يُقتَلون بها يطول معها أمد انتزاف الدم . وإذا صح عزمها على أخذهم بجرائرهم لم تعاقبهم بأيدينا ، بل أرسلت عليهم الصواعق .

(١) محتد : أصل ، نسب كريم .

اميليا : قل انك أنت أيضاً تنزع الى جانبهم، وأنك تكل إلى الصاعقة عقاب الطغاة ... لن أخاطبك في شيء من هذا . اذهب واخدم الطاغية، و نطْ زمام نفسك بنزعاته الواهية وهدّيء بالك المتردد بنسيانك التَّبْعَةَ التي جئت منها ، والجائزة التي كنت ترجوها . ساعرف كيف أنتقم لبلدي ووالدي واني غير مستعيرة يدك للأخذ بثاري .

ولعمري لكان لي فخر قتله من زمن مضى لو أن الحب لم يمسك بذراعي الى الساعة. فالحب هو الذي استعبدني وجعلني أعنى بحياتي في سبيلك ، كنت أستطيع ان أهاجم الطاغية وحدي ، فأودي به ويودي بي احراسه ، ولكنني لو فعلت لحرمتك يومئذ أسيرة ائتمرت بأمر هواك وعاشت من أجلك وحدك .

على أنني أردْت الاحتفاظ بنفسي لك ، وتهيئة السبب لجعلك جديراً بي . فلم يجْدني الأمران فتيلاً . إعفي عني ، أيتها الآلهة العظيمة ، إذا كنت قد خُدعت بتوهمي أنني أهوى حفيداً لبومبيوس ، وإذا غرتني الظواهر الخلابة ووقع اختياري على عبد مكانه، ولكنني أحبك كيف كنت. وإذا ما سمتُك ، دون وصالي ، ان تخون مولاك ، فالف

غيرك لو استطاعوا بهذا الثمن ان يَحْظوا بحظوتك عندي لتنافسوا في قبول شرطي. ولكن اطمئن فلا سبيل لغيرك إليّ. عش أنت لطاغيتك المحبّب ولأمتْ أنا لك. ساعجّل عليه وأجلي مرتهن بأجله.

ولما كان جبنُك لم يجعلك أهلاً لي فتعال يومئذ وانظرني غريقة في دمه ودمي، أموت ولا يصحبني إلا فضيلتي، وأقول لك عند احتضاري في نفس راضية: «لا تتهم سوء طالعي لأنك أنت مسببه» ثم أنزلُ القبر الذي قضيتَ عليّ به يتبعني المجد الذي كان مُعَدّاً لك. أموت وقد هدمتُ صرح السلطان المطلق وكنتُ أعيش لك لو أنك أرَدْتَ لي العيش!

سنّا : أما وهذه إرادتك، فلا بد من إرضائك. لا بد من تحرير روما، ولا بد من الثار للأب، ولا بد من ضرب الطاغي ضربات عادلة. ولكن اعلمي ان أغسطس أقلُّ منك استبداداً.

إذا كان قد انتزع منا ما شاء من أملاكنا وأرواحنا ونسائنا، فإنه لم يبغ إلى اليوم على أرواحنا.

أما الجبروت الذي تَتَبَسّطُ فيه محاسنكِ بلا رحمة،

فلا مَرَدَّ لحكمهِ حتى في الألباب وحتى في المشيئات .

تسومينني طِيبَ النفس بما يسلبني الشرف، وتبغّضين إليَّ ما يدين به ضميري ، و تَحْمَلينني على إراقة دم حقيق ان أفدِيَه بدمي ألف ألف مرة ... ذلك مرادُك . فلبّيك ساعمد إلى تحقيقه لساعتي إيفاءً لما تقدم به وعدي . غير أن يدي سترتد الى صدري بالخنجر فتقتل حبيبك قرباناً لرفات ذلك الأمير الكريم ، و كفّارة عن جريمتي التي ساقترفها بكرهي وبهذين العملين المتصلين ساستعيد شرفي منذ أفقده ! الوداع !...

المشهد الخامس

اميليا ، فلفيا.

فلفيا : لقد ألقيتِ بنفسه في اليأس !

اميليا : لِيَخْلُ من حبي ، وليمض الى واجبه !

فلفيا : سيطيعك ببذل حياته . أراك تبكين !

اميليا : واأسفاه ! أسرعي وراءه يا فلفيا ، وإن كنت لي مسعفة ،

أيتهـــا الحبيبة ، فانتزعي منه العزم على قتل نفسه ...
قولي له ...

فلفيا : أقول له انك تعفين عن حياة أغسطس كرامةً له ؟

اميليا : آه تحكمين على ضغينتي حكماً جدّ ظالم !

فلفيا : وماذا أقول إذن ؟

اميليا : قولي له أن ينجز ويبرىء ذمته . وليختر بعـد ذلك بين الموت وبيني .

الفصل الرابع

المشهد الاول

اغسطس . اوفورب . بوليكليتس . احراس .

اغسطس : كل ما قلته لي ، يا اوفورب ، يصعب تصديقه .

أوفورب : إن القصة نفسها ، يا مولاي ، مروّعة ، فلا يكاد العقل يتصوّر مثل هذه الحماقة. ولمجرّد التفكير فيها يُرعد النفس استنكاراً .

اغسطس : ماذا ! أحبُّ الأصدقاء إليَّ ماذا ! سنّا ؟

ماذا !... مكسيم ؟.. الاثنان اللذان شرفتها بعطف
سام وفتحت لهما قلبي واخترتهما لأهم المناصب وأنبلها ؟

أبعد ان أضع في أيديهما سلطاني، يأتمر كلاهما بي لقتلي.

أدرك مكسيم خطاه فاوفد إليّ من ينبهني وكشف عن قلب متأثر بالندم الصحيح . ولكن سنّا !...

أوفورب : سنّا وحده مُتشبّث بعتوّه ، متمرّد على إحسانك ، وهو وحده الذي ما زال يقاوم فعل الندم العادل في قلوب المؤتمرين، فيجدّ في تثبيت عزائمهم المزعزعة على ما يختلط فيها من خوف وأسف .

اغسطس : هو وحده يشجعهم وهو وحده يغريهم !

يا لأغدر من أقلّت [١] الأرض ! يا لخيانة دُبِرَتْ في جوف زبانية [٢] نارية ، يا للضربة الأليمة من يد محبوبة !

خنتني يا سنّا !

اسمع يا بوليكليتس (يسر اليه كلاماً في أذنه) .

بوليكليتس : أوامرك ، يا مولاي ، ستنفّذ كلها .

اغسطس : وليذهب إيرَاست أيضاً فيحضر مكسيم لينال العفو عن ذنبه .

---

(١) أقلّت : حملت .

(٢) زبانية : أشخاص مهمتهم دفع أهل النار اليها.

أوفورب : رأى ، يا مولاي ، جرمه عظيماً فأبى الا الاقتصاص من نفسه ، وعـاد من القصر زائغ العين ، وَحْشي النظرة ، مَليء الصدر بالزفرات، يمقت الحياة ويستقبح تلك المؤامرة المذمومة التي أفضى الي بجليَّـة أمرها كما أخبرتك بهـا ، وأوصاني بأن أحذِّرك شرَّها ثم قال : « إنني أقضي بنفسي على نفسي ، فلست أجهل مـا أستحق » . وعلى أثر قوله هذا وثب فجأة الى نهر التبر فحال المـاء الغزير المتدفع ، وسواد الليل بيني وبين معرفة الخاتمة من فاجعته .

أغسطس : هلك المسكين بما اشتد عليه من وخز الضمير . وتوارى عن عفوي، ما من ذنب إليَّ لا يمحوه الاستغفار .فأما وقد زَهِدَ في مغفرتي ، فاذهب واقض ما بقي ، واجعلهم يُعْنَـوْنَ بحفظ هذا الشاهد الصادق في مكان أمين .

المشهد الثاني

أغسطس : أيتها الآلهة ! من ترين بعد اليوم أستودعه أسرار نفسي .
وأكِلُ اليه العناية بحياتي ؟ خذي السلطان الذي منحتنيه
إذا كان يعطيني رعايا ويحرمني الأصدقاء . استرديه إذا
كان حظ من يلي ذلك السؤدد الأعلى ان تكافأ حسناته
بالأحقاد والأضغان ، واذا كان قضاؤك الشديد يجري على
الملوك بأن يحبوا الذين تدفعين بهم الى إهلاكهم ؟ من قدَر
على كل شيء وجب عليه ان يحذر كل شيء .
ثُبْ الى نفسك يا اوكتافيوس وكفَّ عن الشكوى .
ما هذا ؟ أتريد ان يستبقوكَ وأنت لم تُبق على أحد ؟.
تذكّر أنهارَ الدم التي غمست فيها ذراعك: فكم احمرَّت بها
ساحات مكدونيا ، وكم تدفق منها في هزيمة انطونيوس !
وكم انهمر في هزيمة سكتوس ! ثم عد بنظر الفكر الى
مدينة بيروزة غارقة في مهج أبنائها جميعاً، ولا تنس المجازر
الأُخر المتعددة ، وما عقّبتْ به عليها أحكامك الجائرة
من الصور الدامية ! إذ تكون أنت فيها جلاَّدَ أهلك فتغمد

المدية في صدر الوصيّ عليك ، وبعد كل ما قدمت تجرؤ على اتهام القدر بالظلم عندما ترى الأقربين اليك يهيئون السلاح ليقتصوا منك حاذين حذوك في العمل على بوارك، منتهكين حرمة الحقوق التي لم ترعهـــا أنت من قبل . لخيا نَتْـهُـم عَدْلٌ والسماء قد أذِ نَت بها . خلِّ عن علياتك بمثل ما أخذْتَها وأردُدْ دمك الغادر الى الغدر ، وتلقَّ ضيم أهل الكنود بعـد ان كنت كنوداً . ولكن أتندُّ[1] عني سلامة الرأي وأنا أحوج ما أكون اليها .

اي سنّـا !.. ما تلك الثورة الحمقاء التي تضعني موضع الاتهام وتغتفر لك وزرك،وانت الذي اضطررتني بخيانتك الى استبقاء الحكم لتعاقبني عليه وتعاملني معاملة مجرم ، على ان الذنب لك . تقيم من التداعي عرشاً غير شرعي ، لتعود فتحطمه ، وتبدي غيرة وقحةً تستر بها جريرتك ، فتحول دون سلامة الدولة لقضـــاء ماربك ، وان هو الا هلاكي .

هل يسعني إرغام نفسي على نسيان كل هذا ؟ أأتركك

---

(١) أتندُّ عني : أتبتعد عني .

تعيش في راحة بعد ان اخفتني ؟ كلاّ . كلاّ . اخيانة منى لنفسي ان أفكر في هذا. والمتسامح في العفو إنما يحرص على نفسه ، فلأُعاقِبن القاتل ولأنزلنّ البلاء في شركائه ! ولكن ماذا ؟ أدمُ في كل يوم ؟ أقصاصٌ في اثر قصاص؟ لقد تعبت قسوتي ، وليست تستطيع الوقوف عند حد !

اعمل على ان يخشوني ، فلا أصل إلا إلى استفزازهم . ان في روما لثعباناً كثير الذراري يلتمس حتفي : فمن الرأس الذي يقطع ينبت الف راس. وإراقةُ دماءِ الف من المؤتمرين تزيد ايامي لعنة ولا تزيدني تمكيناً .

يا اوكتافيوس! لا تنتظر بعد اليوم طعنة من بروتوس جديد . مُتْ واختلس منه مجد إسقاطك ... مُتْ ... فما تبذل للعيش إلا جُهْداً عقيماً يعتوره الجبن ، ما دام جمٌّ غفير من سراة القلوب يتمنون موْتك ، وما دام جميع من حوَتْ روما من شباب نبلاء يعملون فوجاً بعد فوج على ثبورك [(١)] ، مت ما دامت علتك تابى الشِّفَاء ، ثم مت ما دام محتوماً ان تفقد كل شيء وان تموت .

(١) ثبورك : هلاكك .

إن الحياة يسيرٌ امرُها ، والقليل الذي بقي لك منها
لا يساوي ان تؤدي فيه ثمناً جدَّ مشؤوم .
مُتْ ولكن لا يكن تَرْكُكَ الحياة بغير رُواء ساطع.
اطفىء مَشعلَها في دم الكنود! واذبح قرباناً لنفسك الذاهبة
هذا الخائن ! جعل وَطرَه قتل وليّ نعمته ، فلا تقضِ له
وطرا [1] إلا حين تذيقه نكال جرمه، فلنمت معاً. ولأورثه
حسرة أن يرى مصرعي ولا يتمتع به .
بل لنتمتّع نحن بقتله ، وإذا أبغضتْنا روما فلننتصر
على بغضائها .
أيها الرومانيون ! أيها الانتقام ! ايها السلطان المطلق !
ايها العراك الشديد، في قلب مُبلبل لا يفتأ يَنقُضُ ما يبرم،
أشيروا على الأمير الشقي بشيء... أيُّ السبيلين اتبع وايهما
اتجنب ؟ دعوني أهلك او دعوني أملك .

---

(١) وطر : رغبة غاية .

المشهد الثالث

اغسطس ، ليفيا .

اغسطس : خانوني ، يا سيدتي،واليد التي شرعت لقتلي دَكَّتْ صبري تحت أثقال الغموم . سنّـا ، سنّـا الخائن !...

ليفيا : أنباني أوفورب بكل شيء ، فعلاني الاصفرار مائة مرة ، يا مولاي ، من سوء مـا سمعت . ولكن أتصغي لنصيحة امرأة ؟

اغسطس : واأسفاه ! اي نصح أستطيـع ان أنتصح به الآن ؟

ليفيا : لم تعقب قسوتك إلى الآن ، يا مولاي ، ثمرة مـا . ولكنها أحدثت كثيراً من الضجيج . وما من أحد يرتدع لما حلّ بغيره من المثُـلات . إن سالفيديانوس بنكبته أثار لبيدس وأعقبه مورينـا ثم جرى مجراه شيبيو ولم يحدث يومها الأغبر خوفاً يفلُّ من عَزْبِ[1] اينياس في غضبه.واينياس قد حلَّ محله سنّـا اليوم .

---

(١) عزب : همة ، عزم .

وصارت الحال إلى ان النكرات التي هي في أحطّ الطبقات اشرأبت إلى تشريف أسمائها بأمثال هذه المرامي العظيمة . فجرِّب إذن في سنّا ما يستطيعه الحلم بعد إذ لم يجْدِك ما أنزلته بأولئك الأوقاح من قصاص .

إجعل عقابه في خجله واستخزائه ، ولُذْ بأنفع الامور في مثل هذا الموقف ، فقد يُحفظ قصاصه هذا البلدَ الثائر ، وقد يخدم شهرَتك العفوُ عنه فيرتدّ الذين تجرح صدورهم شدتك الى التأثر بجودتك وسماحتك .

اغسطس : لنملك قلوبهم كافة بترك هـــذه الامبراطورية التي جعلتنا مرذولين يُؤْتَمَرُ بنا. كثر ما استشرت في هذا الترك أخذاً بآرائك ، فلا تكلميني فيه بعد ، فقد مللت ولن أستشير أحداً . كُفّي عن الزفرات يا روما ابتغـــاء حرّيتك ، ساحَطِّم بيدي الأصفاد التي كبّلْتُك بها ، وأرُدُّ عليك الدولة بعد أن احْتَزْتُها ، أهدأ بالاً وأعظم شاناً منها يوم أخذتها ، فإذا أردتِ السخط عليّ فاسخطي منذ الساعة بغير رياء ، وإذا أحببتني فأحبيني بـــلا خوف . سئمت السطوة كما سئمها سلاّ ، فطمعي سعادته بعدما أحرز من قوّة وشرف .

ليفيا : لطالما أغراك مَثَلُ سلاًّ . ولكن احذر ان تلقى غير ما لقيه . فالسعادة الفـــذَّة التي حاطت حياته ، لو تكررت وسَهُلَ على كل واحد نَيلها ، ما كانت سعادة .

اغسطس : لئن كان سلاًّ يسموني بمـــا لا مطمع لي في إدراكه ، ولئن كنت على غير هـدى في التطلع الى الفوز بما فاز به ، لَإباحة دمي لمن يريد أن يريقه هي الرأي . بعـد طول العاصفة ، يجب اللِّياذُ بمرفَـإ ، ولست أرى غير مأمنين ... الراحة او الموت .

ليفيا : ما خطبك ؟ أتصدف عن ثمرة تلك الفعال الجسام ؟

اغسطس : وما بكِ ؟ أتريدين الاحتفاظ بمـــا يثير عـليَّ كل تلك الأضغان ؟

ليفيا : لقـد شططتَ يا مولاي الى الحد الأقصى ، وهـــذا يأس لا كرم .

اغسطس : إن مُلكاً يضطرُّ صاحبَـه الى ملاطفة اليد الخائنـة لَمظهر من مظاهر الضعف لا من مظاهر الفضيلة .

ليفيا : بل هو تملُّـك منك لنفسك ، وبه يتسنى لك ، عن خيـار ، أن تمارس من الفضيلة ما هو جدير بالملوك .

اغسطس : وعدتني بنصائح امرأة ، وصدقت وعدك ، يا سيدتي ، بما ادليت به . إنني ، بعد أن صرعت كثيراً من أعدائي ، وبعد عشرين من السنين في الحكم ، لا أجهل مكامن القوى منه ، وأعلم ، في مثل حالتنا ، ما واجبات الأمير بمختلف نُظُمها . التآمر يجرح الشعب، ومجرد التفكير فيه جريمة في حق الدولة وإهانة للمملكة باسرها . فإما أن ينتقم لها الأمير ، وإما أن يترك الامارة .

ليفيا : لا تثق كل الثقة بما تمنيك شهوتك .

اغسطس : أقلّي أنت من الضعف او من الطمع .

ليفيا : لا تجابِهْ بمثل هذا السوء حسن النصيحة .

اغسطس : السماء توحي إليّ ما ينبغي أن أفعل . الوداع ! إننا نضيع الوقت .

ليفيا : لست أتركك ، او يبلغَ حبي منك ، يا مولاي ، ما أُشير به عليك .

اغسطس : حب العظمة هو الذي يدعوك الى اللجاجة .

ليفيا : أنا احب شخصك لا مكانتك .

(على انفراد) يريد ان يفلت ، فلأتبعه ولأمكّن من نفسه الإقتناع بأن العفو يؤيد سلطانه وبأن السماحة أجمل مزية في العالمين يمتاز بها الملك الأصيل .

المشهد الرابع

اميليا ، فلفيا .

اميليا : من اين جاءني هذا الفرج ؟ ومالي أراني ، بغير اختياري، أتذوّق الراحة كلها في غير أوانها ؟ طَلَبَ قيصر سنّا. فلم يصعّد قلبي الزفرات ، ولم تجد عيني بالعبرات ، كإنما هَجَسَ في خاطري هاجس ، إن الأمور ستجري على ما يرضيني . أمن هاجسي سمعت هذا القول يا ترى أم منك يا فلفيا .

فلفيا : لقد استوثقتُ منه بأن يستمسك بحياته، وأردت المجيء به اليك ألينَ عريكة وأسلسَ مقادة ، ليبذل جهداً آخر في تسكين غضبك ، فبينا أهنّىء نفسي إذ وفد بوليكليتس الذي تعرفين إنه ترجمان أغسطس ، وَفَدَ بلاَ تَبَع ولا ضجّة ، واستصحبه توّاً إلى القصر .

زعموا ان اغسطس في اضطراب عظيم لم يعرف أحدٌ سببه ، واختلفت التاويلات في هذا الشأن . ولكنها اتفقت على ان أمراً عظيماً أهمَّه ، وانه استدعى سنَّا ليستشيره فيه. ولكن الذي حِرْتُ في معرفته هو ان رجلين مجهولين قبضا على ايفندر ، وان أوفورب أيضاً قد احتُجز ولم يعرف أحد السبب، ولغطوا في سيده بما لمْ أدْرِه فعزوا اليه اليأس الشديد، وذكروا الماء ونهر التبر وأمسكوا عن البقية.

اميليا : ما أكثر بواعث الخشية ودواعي اليأس! على ان قلبي الحزين يأبى بَثَّ ما به ، وكأن الآلهة ، كلما طرأ أمر ، تبعث فيه شعوراً مخالفاً لما ينبغي ان يشعر به . لقد أخذتني منذ حين رهبة موهومة ، والآن أجدني غير آبهة لها ، وحقي ان أشفق منها .

طوعاً لك أيتها الآلهة العليا ! نِعَمُك التي أحمدها لا ترضى لي بخدش الشرف ، وقد أكرمتِني عن التأوّه والتنهّد والاستعبار، لتشدّي أزر فضيلتي في قراع المصائب. تريدين لي ان أموت على شجاعتي الكبرى التي دفعت بي الى ذلك المطلب العظيم ، وسأموت مذعنةً لما أردتِ ، وفي الموقف الذي جعلتني فيه .

يا حرية روما ! يا روح أبي ! لقد قُمْتُ ، من جهتي ، بكل مـا أستطيعه . فألّبتُ على الطاغيـــة أصدقاءَه ، واجترأت في سبيلكما على أكثر مما هو من شاني . فإذا فاتني الغرض لم ينتقصْ فوته مجدي . وإذا لم أحظَ بالانتقام لكما لحقت بكما، ومتّ يسطع من جوانبي دخان الغضب العادل المتّـقد ، ميتةً نبيلة جـــديرة بكما وبدَم الأبطال العظام الذين أنبتوني .

المشهد الخامس

مكسيم، اميليا ، فلفيا .

اميليا : هذا انت يا مكسيم ، وقد قالوا إنك متّ ؟

مكسيم : خدَعَ اوفورب اغسطس بهـــذا النبإ الـكاذب ، إذ رأى نفسه مقبوضاً عليه ، وقـد انكشف سرُّ المؤامرة . فلفّـق نبأ هلاكي ليقيني الهلاك .

اميليا : وماذا يقولون عن سنّـا ؟

مكسيم : إنه أَسِفَ شديد الأسف عندما رأى أنّ قيصر على علم بكل

شيء ، فحاول الإنكار والتنصُّل من معرفته ، فلم يُجْدِه ، لأن ايفاندر كان قد باح بكل شيء ، ملتمساً بذلك المعذرة لسيده . وبامر من اغسطس جاؤوا للقبض عليك .

اميليا : إن من تلقى الأمر قد أبطأ في انفاذه . انا متأهبة لاتباعه عادمة الصبر في انتظاره .

مكسيم : هو في انتظارك عندي .

اميليا : عندك ؟

مكسيم : تستغربين الأمر ، ولكن اعلمي ان الآلهة راضية عنك ، فالذي ينتظرك هو أحد المتآمرين وسيفرُّ معنا . فلنُبادر قبل ان يتعقبونا . وعلى الشاطىء سفينة مهياة لسفرنا .

اميليا : أتعرفني يا مكسيم ؟ أتدري من أنا ؟

مكسيم : افعل في مصلحة سنّا ما أستطيعه ، وأحاول في هذا المصاب الجلل ان أنقذ أجمل شطر تخلَّف منه . فَلْنَنْجُ يا اميليا ولنُبق على حياتنا ، حتى إذا ما عاد الينا الخطر انتقمنا له .

اميليا : سنّا في مصابه من أولئك الذين يجب اتباعهم على الأثر ، والذين لا يُثارُ لهم خوف استطالة الحياة بعدهم ، فمن تسوّل له نفسهُ الفَرارَ بعد سنّا ليس جديراً بالحياة التي يجدّ في حفظها .

مكسيم : ايُّ يأس أعمى يَحْملُكِ على هذه الحماقات ؟ يا للآلهة من فَرْطِ الضعف في هذه النفس القوية .

إن هــذا القلب الكريم لَتَنهي عزيمته دون الكفاح فَيَسْتَسلمُ عند أول عَثرَةٍ .

إستعيدي ، إستعيدي تلك الفضيلة السامية او افتحي عينيك واعرفي مكسيم ، إنك لَتريْنَ فيه سنّا الثاني وقد وقد ردّت الآلهة به عليك الحبيب الذي فقدتِه ، وإذ إن المودّة لم تجعل منهما إلا نفساً واحدة ، فأحِبّي في هــذا الودود ذلك الذي كنت تحبين ، إنه لكفيل بأن يهواك مثل هواه . . .

اميليا : أتجترىء على حبي ولا تجترىء على الموت ؟ لقـد شططت في دعواك ! ومهما يكن من هـذه الدعوى ، فلا أقل من ان تجعل نفسك أهلاً لمن تطلب . أكْفُفْ عن فرارٍ كفرار الجبان من موتٍ مجيـد ، او عن تقديم قلب لي نزلت به الى حضيض التسفّل .

إفعلْ ما يغصب إعجابي بفضيلتك التـامة ، فإن لم أستطع حبك أسِيتُ عليك! أظْهِرْ من الروماني الأصيل آخِرَ بأسه ، واربح عبراتي إذا عداك قلبي .

يا عجبـــاً ! أتظنُّ أن محبتك لسنّا واهتمامك بأمره ينحصران في تملُّق عشيقته ؟

تعلَّمْ ، تعلم مني الواجب في مثل ما نحن فيه، وأورد لي المثل او أقْبِلْ فخذه عني .

مكسيم : إن أَلمكِ الصادق لجِدُّ شديد .

اميليا : وإن أَلمكَ لملوء بلطف الحيـلة لِما تشتهي . كنت تكلمني الساعة في رجعة للأيام سعيدة، وتَشْرَهُ الى الحب في فورة أحزانك .

مكسيم : هـذا الحب أمره عجب ! فما يكاد يولد حتى يبلغ أشدَّه ، وإنما أُحبُّ فيك حبيبك وصديقي وبالقوة نفسها التي كانت مشبوبة فيه للغرام .

اميليا : مكسيم ! لقـــد عَدَوْتَ في حديثك ما لا يعدوه الرجل الحصيف ، أدهشني النذير بهلاكي ولكنه لم يذهب بلبـي. كما ان ياسي النبيل لم يُعْمِني. ففضيلتي بجُماع قواها تفعل فِعْلها غير تاركة للجزع مأخذاً عليها، وبكَرهي ان أرى أكثر مما كنت اريد رؤيته .

مكسيم : ترين ماذا ؟ هل اشتبهت في غدر مني ؟

اميليا : نعم ، أنت غادرٌ . أقولها وانت أردت ان أقولها، إن أمر فرارنا مدّبر تدبيراً ، أظهر من ان لا يعلق به الريب ولا يُشتق منه جبنك .

لقد كانت معجزات الآلهة تتكاثر علينا ، لو أزالت العقبات التي تعوقه ولم تَنُطْ بك شيئاً من أسباب إزالتها ، أهْرُبْ دوني فغرامك هنا ليس إلا فضُولاً .

مكسيم : آه ! لقد أسرفتِ لي في القول .

اميليا : وما أضمره أبلغ ! لا تخشَ ان أنهال عليك باللواذع المهينة ، ولكن لا تظن انك تموّه عليَّ الأباطيل وتحملني على الحنث فإن يكن حقاً ان اشتباهي فيك يشق عليك، فتعَالَ مُتْ معي لتبرىء نفسك .

مكسيم : عيشي ، يا إميليا الجميلة ، وائذني لعبدٍ ...

اميليا : لن أستمع لك إلا في حضرة اوكتافيوس . هلمّي يا فلفيا هَلُمّي !

المشهد السادس

مكسيم : يائسٌ ، متخبطٌ ، جديرٌ بأشد من هذا الاطراح القاسي لو كان مستطاعاً . فماذا تفعل يا مكسيم ؟ او ما هو القصاص الذي تُعدّه فضيلتك لريائك الذي لم يثمر ؟. لا غرور ولا اغترار بعد الآن .

إميليا ، في موتها ، ستفضح كل شيء ، ومن المقصلة[1] التي تفيض عليها روحها سيطلُّ مجدها وإلى جانبه عارك . وسيترك موتها للخلف أسوأ أحدوثة عن مكرك وغدرك. فقد جمعت في يوم واحد ، عداك فيه الصواب ، خياناتك للملك، وصديقك، وهواك! وانتهكت كثيراً من الحرمات في يوم واحد ، وقدمت عاشقين قرباناً للطاغية ، فلم تَجْنِ من كل هذا إلا الشنار[2] والغيظ والحنق،يشعلها في نفسك وخزٌ من الضمير لا يجدي !

اي اوفورب ! أهذا فِعْلُ نصحك المملوء جبناً ؟

---

(١) المقصلة : آلة لقطع رأس المحكوم .

(٢) الشنار : العار .

ليت شعري ، ماذا كان يُنتظر من أمثالك ؟ لا يكون المعتق إلا عبداً غادراً ، تتغير حاله ونفسه لا تتغير .

أما نفسك فلا تزال في العبودية لم تستطع في الحرية ان تَقْـبسَ قبساً من الكرم . حملتني على صيانة سلطان جائر وعلى إتيان مـــا يكذّب شرف أصلي ، وَقَاوَمكَ قلبي فجعلتَ تكافحه حتى لوّثَ خداعك فضيلته ، فاضاع عليَّ الحياة وأفقدني المجد. أنا الجدير بكل هذا لأنني صدّقتك، ستبيح الآلهة لي ان أسفك دمك برأى من الحبيبين.ويومئذ أجترىء فأؤكد ان دمي، وان حَملَ أثر جرمي تقدمة لهما، لا يخلو من النقـــاء ، إذ أكون قد بطشت بك عَدْلاً ، وغسلتُ بدمكَ جريمة الاستماع لك والركون اليك .

الفصل الخامس

المشهد الاول

اغسطس ، سنّا

اغسطس : خـذ مقعداً يا سنّـا ، خـذ ، والزم قبل كل شيء حدّ الأمر الذي آمرك بـه . أعِرْ سمعك حديثي ، ولا تبلبلني ، ولا تقطعْ عليّ القول بكلمة او صرخـة ! قَيِّـد لسانك . وإذا شقّ عليك، مع موقع القول منك، ذلك السكوتُ الى مدى طويل ، ففي وسعك ان تجيبني بعده بما يبدو لك ، هـذا ، لا سواه ما أرغب فيه اليك ، فامتثِلْـه .

سنّا : إني مُطيعُـك يا مولاي .

اغسطس : تذكّـر وعدك بالاستماع صامتاً وسأنجز وعدي . وُلِدْتَ يا سنّـا ينميك آباء كانوا أعداء أبي وأعدائي .

في معسكرهم كان مولدك . ولما دخلت بعد موتهم في حيز سلطاني ، كان حقدهم متأصلاً في قلبك ، فسلح ذراعك لقتالي . كنت عدوي ولما تخلق . وكنت كذلك بعد أن عرفتني ولم تكذب نزعتك يوماً ما. ذلك الدم الذي رمى بك في الحزب المناوىء لي ، بل صدقته أعمالك بقدر ما استطعت ، على انني لم أنتقم لنفسي إلا بالإبقاء على حياتك ، واتخذتك أسيراً لأغمرك بالآلاء ، فكان قصري سجنك ، وعطفي عليك قيدك ، ورددت عليك في البدء عقارك . أغنيتك بأسلاب انطونيوس . وتعلم اني ما تركت بعد ذلك فرصة إلا أغدقت فيها النعم عليك إغداقاً، فما طلبت إلي من مناصب منحتك إياه في الساعة ، ولم أسمك عناء ، حتى لقد آثرتك على الذين كان آباؤهم في الصفوف الاولى من جيشي،وعلى الذين اشتروا الامبراطورية بدمائهم ، وحفظوا إلي النسمة التي أتنسمها . فكان ، بإيجاز القول ، تصرفي في جانبك تصرفاً يثير في قلوب الغالبين الغيرة من سعادة المغلوبين . فلما أرادت الآلهة بعد إقبالها أن تريني بعض الادبار وقبضت اليها ميسين ، أحللتك محله ، وجعلتك بعد حادثه الأليم أوفى أمين

إليَّ ، وفي اليوم الذي اضطربتْ فيه نفسي ، وحدثتني بنتخني عن سلطاني المطلق لم أستنصح غير مكسيم وغيرك، وعوَّلت على رأيك دون رأيه ، ثم قلّدتك لساعتي مِنّة من أعظم المنن ، فأعطيتك اميليا وهي مناط أماني ايطاليا بأسرها ، جعلتها من حبي ومن عنايتي بحيث ، لو توّجتُك ملكاً ، لكان الجود عليك بالتاج أقلّ من الجود بها . تتذكر ذلك يا سنّا ! وليست كل هذه المآثر ولا كل هذه المفاخر مما يُنسى على عجل . أما الذي لا يتصوَّره عقل ، يا سنّا ، فهو ان تذكر كل هذا ، وتريد قتلي .

سنّا : أنا يا مولاي ؟ أنا ؟ أتكون نفسي من الخيانة بحيث يخطر مثل هذا الفرض السافل ؟...

اغسطس : أراك تسيء إنجاز وعدك . اجلس . لم أقل بعد ما اريد . برّئ نفسك فيما بعد إن استطعت . والآن استمع وكن أوفى بعهدك .

تريد ان تقتلني غداً ، في الكابيتول ، وقت القربان ، وأن تضربني بيدك الضربة القاضية عوضاً عن تقديم البخور ، فتكون الضربةُ العلامة ، ويكون نصف رجالك

قد احتلوا الباب ، والنصف الآخر وراءك لشدّ أزرك !

أعَلى علمٍ صحيح أنا أم في شكوك فاسدة ؟.. أأسرد لك أسماء اولئك القتـلة جميعاً ؟ بروزكول ، غلابريون ، فرجينيان ، روتيل ، مارسل ، بلوت ، ليناس ، بومبون ، اليان ، ايسيل ، ثم مكسيم الذي آثرته بمودّتي بعدك ، والآخرون أدنى من ان يُشرّفوا بالذكر ، فهم قبضة من رجـال ضيّعتهم الديون والجرائم ، وأرهقتهم قوانيني وأوامري الشرعية فيئسوا من التخلص منها، فلا عيش لهم ما لم يُهدَم كل شيء ، وينقلب كل نظام .

تسكت الآن ، ويُلزمك الصمت استخزاؤك أكثر من طاعتك ... ماذا كان غرضك وما مدّعاك ؟ أهو بعد أن تصرعني تحت قدميك في الهيكل ، تحريرُ بلدك من الحكم الملكي ، فإن لم يَفْتِنّي إدراك سياستك التي بسطتها منذ هنيهة ، فلا سلام لهذا البلد إلا بأن يتولاه من يقبض على جميع الأمر بيده ، ليحفظ كل شيء ! ولو أن بُغْية الحرية هي التي استفزّتك للأمر الذي انتويتُه[1] لَما منعتَني من

---

(1) انتويته : عزمت على فعله .

رَدّ هذه الحرية على أهلها ، بل لتقبّـلتها مني باسم الدولة من غير أن تعمل على سلبها مني بالقتل .

إذن مـا كان غرضك ؟ أهو الاستئثار بالأمر مكاني في الدولة ؟ لَشدّ الخطب الذي يهدد مصيرها إذا كانت السبيل الى ارتقائك العرش وإصدارك القوانين لا يعترضها في روما من عائق سواي ، ولَشدَّ ما يُرثى لتعس رومـا يوم تكون أظهَرَ من فيها بعدي ، فلا يقع عبء الامبراطورية الثقيل إلا في يدك وقد قضيتُ نحبي .

تعلَّمْ أن تعرف نفسك ، وانزل في أغوار سريرتك ، يمجّدونك في روما ويتملّقونك ويحبونك ، وكلٌّ يخشاك، وكلٌّ يرجوك . نجمك في عُلُوّ ، وتقدر على كل ما تشاء ، ولكنني لو تركتُك ومَحَضَ شانك لَعثَرتَ عثرةً يرقّ لك من جرّائها حتى الذين لا تعرف قلوبهم الرحمة، أتجترىء ان تكذّبني ؟ قل لي ما مقـــدارك ، واسردْ على سمعي فضائلك ومجيد أفعالك،وصِفْ مزاياك النادرة التي رُقْتَ في عيني من أجلهـا ، واذكر لي مـا الذي رفعك عن صف العامة .

عطفي عليك هو سبب مجدك، ومنه استمددت حولك

وَطَوْلك ، فهو وحده الذي سما بك وهو الذي يؤيدك ، ثم هو الذي يعبـدون ، لا شخصك ، ما لك من أيدٍ وكلمة مسموعة إلا بقدر ما يُفيضه عليك ذلك العطف مني .

ويكفي لتدهورك منذ اليوم ان أقبض اليـــد التي أنصرك بها . غير أني أرغب في مجاراتك ، وأنزلُ عند أمنيتك . أحكم من بعدي ان استطَعت الحكم . ولكن أتجترىء على الظن بأن أمثال سرفليان وكوس وميتلوس وبولس وفابيان ، وأضرابهم الكُثُر من الأبطال الشجعان الذين تحدروا من أصلاب أبطال شجعان يتخلون لك عن الاعتزاز باصولهم الرفيعة ويتسامحون في ان تصبح ملكاً عليهم ؟ قل ! تكلم ! آن أوانك .

سنّـا : أنا في خبال وذهول ، لا غضبك ولا الموت يرهبني . أراهم قد غدروا بي وأنا أفكر وأبحث عن الغادر ، فلا أهتدي اليه . ولكن حسبي انصرافاً بكل نفسي إلى تبين من الذي أفشى سرّي ، أيها المولى ، انا روماني ومن دم بومبيوس . وقد ذبح الأب والولدان غدراً . فموت قيصر في الانتقام لهم قليل .

هذا هو السبب الأوحد والأسمى في غرضي النبيـه ،

وما دامت الخيانة قد عرضتني لنقمتك ، فلا ترقب مني ندماً دنيئاً . ولا أسفاً عقيماً . ولا زفرات مخجلة . الحظ مُقبلٌ عليك . مدبر عني ، وأعلم ما فعلت وما عليك ان تفعلْ . اضرب مثلاً للخلف وان في موتي لأمناً لك .

أغسطس : انت تتحدّاني يا سنّـا . وتتصنع التعالي ، وتؤيد جرمك بتجنب الاعتذار . فلننظر هل يستمر ثباتك على هذا إلى النهاية . انت تعرف ما حُقَّ عليك ، وترى انني واقف على كُنه أمرك ، فاصدر حكمك على نفسك بنفسك . واختر لك ما تؤثر من قصاص .

المشهد الثاني

ليفيا ، اغسطس ، سنّـا ، اميليا ، فلفيا.

ليفيا : لم تعرف بعد كل المشتركين في المؤامرة. إن إميليا في جملتهم وها هي حاضرة يا مولاي .

سنّـا : هي بنفسها ... يا للالهة !

أغسطس : وانتِ أيضاً ، يا ابنتي؟

اميليا : نعم ! ما فعله ، فعله في سبيل رضاي . فأنا ، يا مولاي ، كنت السبب وكنت الجزاء .

اغسطس : وي ! أهو الحب الذي لم أغرسه في قلبك إلا اليوم ، يطوّح بك إلى طلب الموت من أجله ؟ لشُد ما استسلم فؤادك لهذه الوثبات ، فغلوت مسرعة في هوى حبيب أعطيتك إياه .

اميليا : هذا الحب الذي عرّضني لغضبك ، لم يكن الأثر العاجل لما أردته من الجمع بيننا ، بل كانت ناره مشبوبة في قلبينا من غير أمرك ، وبقيت سراً مكتوماً منذ أربع سنوات او تزيد . ولكن مهما يكن من حبي له وحبه لي ، فاقوى ما ارتبطنا به هو الحقد الكامن لك . فلم أدَعْ لسنّا من أمل في الظفر بي إلا إذا انتقم لأبي ، انا التي أَبتْ عليه إلا ان يقسم لينتقمن لي ، فاقسم وبحث عن أصدقاء يناصرونه ، ولكن الآلهة خيبت الأمل الذي منّيت النفس به .

فجئت يا مولاي للتضحية ، لا توخياً لإنقاذ حياته بإلقائي على نفسي تبعة الجريمة ، بل لأن موتي عدل بعد ائتماري . ولا عذر لي في الجناية على الدولة . إن موتي في حضرته، واللحاق بأبي هو الذي جاء بي وهو كل ما أتمنى.

اغسطس : إلى متى ايتهـــا الآلهة ، وعلام ترمينني في داري بسهامك الصائبة ؟ لقد طردت جوليا من كنفي لسرفها في أهوائها ، وآثرت اميليا بودّي ، فما رأيت هذه إلا مثل تلك ، غير جديرة بالمكانة التي بوّأتها إياها ، ثَلَمتْ إحداهما شرفي وتَعَطّشَت الأخرى إلى دمي ، واتخذت كل منهما هواها مُرشِداً ... فجوليا فاجرة ، وإميليا تبغي قتل وَلِيّ نعمتها !

أي بنيتي !.. أهذا جزاء حسناتي ؟

اميليا : حسنات أبي إليك كان لها مثل هذا الأثر .

اغسطس : تذكّري بأي حب كَلأْتك[1] في نشأتك .

اميليا : لقد كلأ هو أيضاً نشأتك بمثل هذا الحنان ، وكان وصيّاً عليك، فأوردته حتفه، وأريتني بنفسك طريق الإجرام، فما اختلفت جريرتي عن جريرتك إلا بان طمعك أدّى بك الى ذبح أبي ، اما الغضب العـــادل الذي اكتوت به نفسي فهو الذي حفزني الى ابتغاء قتلك لأثار لدمه البريء.

ليفيا : كفى ، يا اميليا ! لقـد افرطت ، فامسكي وتدبّري ، إنه

---

[1] كلأ : اعتنى .

وفّى حسنات أبيك الجزاء الأوفى ، وكان موت أبيك
الذي تُشعل ذكراه سخطك ، جريمة من اوكتافيوس لا
من الامبراطور . على ان كل جرائم الدولة التي تقترف في
سبيل التاج تُعفينا منها الآلهة حين تمنحنا التاج ، ثم تضع
الامبراطور موضع التقديس . فإذا الماضي عَدلٌ وإذا
المستقبل غفران . من قَدِر على الوصول لا يُعَدُّ مذنباً .
ومهما فعل ويفعل ، فهو المتحرّم المصون . أيامنا ذمة له
علينا ، وبين يديه أرواحنا ، ولا حقّ لنا على صاحب
السلطان .

اميليا : لهذا رميت في الكلام الذي سمعته الى إحفاظه لا الى الدفاع
عن نفسي .

فعاقب إذن يا مولاي محاسني الأثيمة التي جعلت
مقرّبيك كفاراً بالنعمة . اختم أيامي الأليمة ، تضمن
أيامك . اغويت سنّا وساغوي كثيراً غيره . وليكونَنّ
كيدي لك أشد ، ولتكونن حياتك أدنى الى الخطر يوم
اصبح مطالبة بثار الحب وثار الدم في آن .

سنّا : تقولين انك اغويتني وتسومينني فوق ذلك ان احمل
جناية التي اعبدها على سمعتي وشرفي ؟ لا . يا مولاي !

والحقيقة أولى بأن تقال : لقد اضمرت هذا الغرض قبل أن اهواها . ولما وجدتها لا تذعن لرغباتي الطاهرة ، ظننتها تذعن لغيرها من العوامل ، فجعلت احدثها عن ابيها وعن قسوتك ، ثم قدمت لها ذراعي للانتقام بعد ان قدمت قلبي للهوى .

أدركتُ ان الإنتقام شهي لفؤاد المرأة ، فهاجمتها من ناحيته وملكت فؤادها . كانت تهملني لضعف شاني ، ولكنها لم تستطع ان تهمل الساعد الذى يثأر لها،فما ائتمرت إلا باحتيالي عليها . وانا وحدي الفاعل وليست هي إلا شريكة .

اميليا : سنّا ! ما هذا الذي اجترأت على قوله ؟ أمن الحب لي ان تجردني من الشّرف وانا في موقف الردى ؟

سنّا : مُوتي ولكن لا تلوّثي مجدي بموتك .

اميليا : إذا صدقك قيصر وقعت الوصمة على شرفي .

سنّا : وإذا ما رددت إلى نفسك كل ما في الميتة الكريمة من فخار فماذا يحل بشرفي ؟

اميليا : حسن ! خُذْ من ذلك الشرف نصيبك ودع لي نصيبي،وإنما

إضعاف هذا إضعاف لذاك.المجد، واللذة، والعار،والهموم،
ينبغي ان تكون مشاعاً بين اهل الحب الصحيح .

إن روحينا ، ايها المولى ، رومانيتان . فلما اتحدت
رغباتنا اتحدت احقادنا.وعلّمنا الحنق الشديد لموت أهلينا
ما يجب علينا في وقت واحد،فتلاقى قلبانا على ذلك الغرض
الأسنى بعد ان دبره عقلانا . فكلانا يرجو شرف الميتة
الجيدة . وإذ كنت قــــد أزمعت ان تجمع بيننا فلا
تفرّقنا اليوم .

اغسطس : نعم ساجمع بينكما ، ايها الكنودان الخائنان ، فأنتما اشد
عدواناً لي من انطونيوس ولبيدس ... ساجمع بينكما كما
اردتما،وساروي الغليل الذي يضطرم فيكما فإذا عرف العالم
ما كان مني ومنكما ادهشه القصاص كما ادهشته الجريمة .

المشهد الثالث

اغسطس ، ليفيا ، سنا ، مكسيم ، اميليا ، فلفيا.

اغسطس : عادت الآلهة الى الرضى عني،فانتزعت لي حسناتها الجديدة مكسيم من غور الإمواه . أُدْنُ ، أيهـــا الصديق الصدوق الأوحد .

مكسيم : أقللْ من التكريم ، أيها المولى ، لنفس مجرمة .

اغسطس : لا تعد الى ذكر الجريمة بعد ندمك . وبعد ان عرفت كيف تدرأ عني الخطر ، فأنا مدين لك بالحياة وبالامبراطورية .

مكسيم : تبين من أعدائك من هو شرّهم ! فلئن كنت ، أيها المولى ، لا تزال حيّـاً على منصّة الحكم ، لأنت مدينٌ بذلك لغيظي وغيرتي الغرامية . لم يأخذني فيما فعلت تأنيب من الضمير ، بل أردت ان أُهلك منـــافسي ، فكشفت عن مؤامرته . وأوهمك اوفورب انني غرقت مخافة ان ترسل في طلبي. . . وانتويت ان أخدع اميليا وأُروّعها وأنتزعها من ايطاليا ، ظانّـاً اني اقنعها بهـذا الاختطاف مع التلويح بأمل العودة للأخذ بثار حبيبها ، ولكنها لم تؤخذ بهذا الطعم الخسيسر

ولم تزدَدْ فضيلتها إلا تمكُّناً على مـا أصْلَـيتها من حرب .
قرأت ما جال في قرارة نفسي وأنت تعرف ما جرى بعـد
ذلك ، فذكْري له لغوٌ وفضول. ثم إنك ترى ما لقي ريائي
وجبني من سوء المغبّـة ، فإن صحّ ان تكافىء مـا دلّـلت
عليه بشيء من العفو ، فاهلك اوفورب في عذاب مبين ثم
اقتلني برأى من هذين الحبيبين .

لقـد خنت صديقي ، وعشيقتي ، وسيدي ، ومجدي ،
وبلدي ، برأي هذا الخائن ، وأحسبُـني قـد حظيت بنهاية
السعادة إذا استطعت معاقبة نفسي بعد أن اعاقبه .

اغسطس : أما كفى ايتها الآلهة ؟ وهل لا يزال تجاه القدر أحد من
أسرتي يغريه بإيذائي ؟ ليستنجد عليّ بالجحيم كل من نوى
بي السوء منهم .

إنني سيِّـد نفسي كما انا سيِّـد العالم .

انا السيد وأريد ان أكونه !

فيا أيتها القرون، ويا ايتها السِّيَـر ، احفظي إلى الأبد
انتصاري الأخير .

اليوم أتغلّـب على أعدل غضبة تفضي اليك أحدوثتها!
لنكن صديقين يا سنّـا !

انا الذي أدعوك إلى المصافاة. وهبت لك الحياة إذ أنت عدوي، وعلى ما كان من خبث ما أضمرت لي وشرّته، أهب لك الحياة ايضاً وانت عامد إلى قتلي !

لنبدأها معركة تدل بخاتمتها على من كان فيهـــا خيرنا كرّاً وفرّاً .

تخون نعمي ، وأزيدها لك مضاعفة !

لقد غمرتك بها وأريد ان اغرقك فيها .

هذا جمال اميليا وهبته لك .

وأزيدك فأمنحك القنصلية للسنة المقبلة !

احبي يا ابنتي سنّـا في هذا المنصب الرفيع ، وأثري فيه الأرجوان على حمرة دمي،وتعلمي من المثل الذي أضربه كيف تملكين غضبك .

رددت زوجك فرددت عليك أباً وخيراً منه .

اميليا : وأنا ألقي بالسلاح ، ايها المولى ، لدى هذه السماحة السامية ، وأهتدي إلى الصواب في نورها الساطع وأعترف بجرمي الذي كنت أظنه عدلاً وأشعر في نفسي ندماً قوياً لم تكن تشعرني إياه رهبة القصاص .

ويناجيني قلبي بأنه نازل على حكم تلك الإنابة .

لقد أرادت الآلهة لك المكان الأسمى ، والدليل ، يا مولاي ، أجده في نفسي فأجرؤ ، ولِيَ الفخر ، ان أجلو سريرتي في بهاء مأثرتك هذه . وأقول لك : ما دامت الآلهة قد غيرت ما بقلبي ، فهي ستغير ما بالدولة . يموت حقدي، وكنت أظنه أبدياً . بل مات الساعة وأصبح قلبي وَليّاً وفياً . ساستفظع ، منذ اليوم ذلك الحقد ، وستحل محل بغضائي حميتي الصادقة في خدمتك .

سنّا : مولاي ! ماذا أقول بعد أن لقيت ذنوبنا حسن الثواب بدلاً من العقاب ؟ يا للفضيلة المنقطعة النظير ، يا للحلم الذي زاد حكمك عدلاً ، وإثمي وِقْراً !

اغسطس : لا تؤخر زمن نسياني لذلك الإثم . ولْيَعْفُ كلٌّ منكما معي عن مكسيم . خاننا جميعاً . ولكن إجرامه حفظ لكما البراءة وردَّ عليَّ أصدقائي .

(إلى مكسيم) عُــدْ الى منزلتك السابقة ، وليعُدْ إليك نفوذكَ وعلوّ شأنك . ولْينلْ اوفورب العفو منكم أنتم الثلاثة أيضاً ، وليتمّ غداً زواج سنّا من اميليا . فإذا كنت ما زلت تحبها فكفى بهذا القران عقاباً لك .

مكسيم : لا اعتراض على هذا الزواج . إنه كل العدل . ولقد تولاّني

يا مولاي من فرط حسناتك استخزاء [1] نزع مني الغيرة على الدرّة التي أفقدتنيها .

سنتّا : أما وقد رُدّت الفضيلة الى قلبي ، فاسمح لي ان أرصد لخدمتك ذمة خَفرْتَ بها غدراً وجبناً . لقد رسا ولائي الآن رَسْواً لا يزلزله سقوطِ السماء على الأرض ، فليمدد في أيامك العليُّ المصرّف للمقادير ، وليأخذ من أعمارنا لإطالة عمرك ، وليفقدني في سبيك أكثر مما جُدْتَ به عليّ مائة مرة ، فاسعد بهذا سعادة يحسدني عليها كل حيّ .

ليفيا : ليس هذا كل ما في الأمر يا مولاي ، إن قبساً سماوياً ينير نفسي بشعاع نبوي ، فاستمع لما تقوله لك الآلهة بفمي : ذلك انها قد قضت لك بالسعادة والتوفيق على الدهر ،ولم يبق بعد الذي فعلته شيء تخشاه . فكل سيستظل بسلطانك من غير شكوى وسينقلب أشد القوم تمرداً إلى الطاعة فلا يرون المجد إلا في الموت وهم من رعاياك . .

ستنتفي كل لُبانة غادرة وستزول كل شهوة كافرة ، فلا يعترض مجرى حياتك الهنيئة شيء منها .

---

(١) استخزاء : ازدراء .

ليس بعد اليوم من قتلة ولا مؤتمرين ، لما أوتيت من
نعمة السيادة على القلوب ، وسيهز الفرح العظيم روما ،
فتضع في يديك امبراطورية العالم. وستعلمها فضائلك الملكية
إن سعادتها هي في استظلالها بسلطانك ، وإذ انها تحررت
من خطل قديم ، فلا يكون لها من أرب بعد الآن في غير
الملكية. فهي قد شرعت تهيء لك المعابد والهياكل، وأخذت
الآلهة تُعدّ لك المكانة بين الخالدين . وسيجعلك الخلف في
كل مكان قدوة المقتدين من الأمراء والأكرمين .

اغسطس : أتقبل هذه البُشريات ، وأرجو ان تتفضل عليك الآلهة
دواماً بالالهام .
ضاعفوا غداً القرابين نقربها للالهة في أيمن الطوالع !
ونادوا في مؤتمريكم بأن اغسطس قد عرف كل شيء وأنه
أبى إلا التجاوز والنسيان !



سلسلة المسرح العالمي

تاجر البندقية	شكسبير	تعريب خليل مطران
مكبث	شكسبير	تعريب خليل مطران
هملت	شكسبير	تعريب خليل مطران
عطيل	شكسبير	تعريب خليل مطران
يوليوس قيصر	شكسبير	تعريب رياض عبود
روميو وجوليت	شكسبير	تعريب رياض عبود
بوليوكت	كورناي	تعريب خليل مطران
السيد	كورناي	تعريب خليل مطران
سنّا	كورناي	تعريب خليل مطران
هرناني	فيكتور هيغو	تعريب خليل مطران
أندروماك	راسين	تعريب اديب اسحاق
شارلمان		تعريب اديب اسحاق
صلاح الدين	فرح انطون	منشيء مجلة الجامعة

الثمن : ٥ ل. ل.